التوحيد

يا ساسة هذا محمد ﷺ

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية   تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية   العدد ٤٨٣ - السنة الحادية والأربعون- ربيع الأول ١٤٣٣ هـ   الثمن جنيهان

في حوار التوحيد مع :
الشيخ أبي الحسن المأربي
نحن نحذر من الحزبية المقيتة والولاءات الضيقة

الشرط الجزائي جائز شرعا؟!

من هم الشهداء عند الله تعالى



الولاة المقسطون على منابر من نور

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٣

ربيع الأول ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

طبائع الكلاب

مهما كان المسلم مقهوراً ومستضعفاً ، أو مفرطاً في دينه وصلاته وآدابه فإنه في لحظة واحدة يتحول الي اسد كاسر يدافع عن دينة وعرينة . ظهر ذلك عندما بال احد الجنود الامريكان علي جدار مسجد في افغانستان. والمعلوم عند كل الناس حتي الخواجات ان الكلاب هي التي ترفع رجلها لتبول علي الجدران. فاعترض علي ذلك رجل افغاني ونشبت مشاجرة لفظيه تطورت الي اطلاق الرصاص ، فقتل الافغاني ثلاثة جنود امريكيين واصاب اثنين اخرين ، ثم استشهد علي يد بقية الجنود . لا تدري متي يفهمون !! خاصة وقد حاول احد المُنَصِّرين مع بعض الاطفال ليصرفهم عن دينهم الاسلام ، وقضي وقتاً كبيراً معهم اتعب نفسه فيه حتي كادوا يتركون الاسلام الي عقيدة تقول ان الله هو المسيح ابن مريم ، وفي لحظة مر احد الباعه الجائلين ، وبفطرته وعفويته نادي في الاطفال قائلاً : وحدوه ! قالوا: لا اله الا الله محمد رسول الله !

التحرير

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين.
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً او ١٠٠ ريال سعودي او مايعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت او بحوالة بنكية او شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . انصار السنة « حساب رقم / ١٩١٥٩٠ »

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي :

q.tawheed@yahoo.com

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



افتتاحية العدد

الوُلاة المقسطون على منابر من نور



بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن أهمية وضرورة قيام الدولة ورعاية مصالح البلاد والعباد، وهذا يتطلب ضرورة وجود إمام أو حاكم، وهذا ما يُعرف بالسلطة التي تقوم بشئون هذه الدولة، وهو محل إجماع.

قال الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم».

[الأحكام السلطانية/ ٢٩].

والمقصود بالإجماع هنا: إجماع الصحابة - رضي الله عنهم - وهو أقوى الإجماعات وأصحها، وعليه فلا عبرة بمن شذَّ أو خالف، قال الغزالي: «السلطان ضروري في نظام الدين ونظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري للفوز بسعادة الآخرة، وهو مقصود الأنبياء قطعًا، فكان وجوب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه».

[الاقتصاد في الاعتقاد/ ١٩٩].

وقال أبو يعلى الفراء: «نصبة الإمام واجبة، وقد قال أحمد - رضي الله عنه - في رواية محمد بن عوف بن سفيان الحمصي: الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس، والوجه فيه: أن الصحابة لما اختلفوا في السقيفة، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، ودفعهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقالوا: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، ورووا في ذلك أخبارًا، فلولا أن الإمامة واجبة لما ساغت تلك المحاورة والمناظرة عليها، ولقال قائل: ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم».

[الأحكام السلطانية/ ١٩].

وعليه فقيام السلطة ووجود الإمام الحاكم من الواجبات الشرعية؛ إذ لا قيام للدين إلا بها، ليقيم شعائر الدين، وينصف المظلومين من الظالمين، وإلى جانب هذا فهي ضرورة اجتماعية للإصلاح، فلا قيام لشئون المجتمع إلا بوجود سلطة تنظم أموره وتقيم ترتيباته، ولا تصلح دنياهم وأخراهم إلا بذلك.

قال ابن تيمية: «كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر، ولهذا يقال: الإنسان مدني بطبعه، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، وللناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمرٍ وناهٍ».

[الحسبة: ٨].

ولا شك أن الإمامة العظمى منصب شرعي، ومن أعظم واجبات الدين، وهي قربة لمن أخذها بحقها يتقرب بها إلى الله تعالى، وقد أجمع المسلمون على أن الولاية العامة من أشرف الواجبات الشرعية، كما قال العز بن عبد السلام: «وأجمع المسلمون على أن الولايات من أفضل الطاعات، وأن الولاة المقسطين أعظم أجرًا،

وأجل قدرًا من غيرهم؛ لكثرة ما يجري على أيديهم من إقامة الحق ودرء الباطل، فإن أحدهم يقول الكلمة الواحدة، فيُدفعُ بها مائة ألف مظلمة فما دونها.. وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرًا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام». [القواعد الكبرى ١/١٩٨-١٩٩].

وقال ابن تيمية: «فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات». [الحسبة/ ٩].

وقد اختلف هذا المفهوم - وللأسف الشديد - في واقعنا المعاصر حيث تهافت الكثير على الإمارة للتسلط والجباية، لا للدين والعدالة، وقد كان الصالحون على مدار التاريخ يجتنبون الولايات خوفًا على أنفسهم وصيانة لها من الوقوع في شيء من المحرمات، ومن قام بها منهم بذل جهده في تحري الحق والحكم بالعدل، وهذا واجب علينا اليوم لتعود الأمة إلى سابق عزها ومكانتها، وقد وردت أدلة كثيرة في القرآن والسنة تدل على ضرورة وجود الإمام، منها ما جاء في قول الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ » [النساء:٥٩]

وقد ذكر علماء التفسير أقوالاً متعددة في أولي الأمر، ورجحوا أن أولى الأقوال بالصواب في ذلك من ذهب إلى أن المراد بهم الأمراء والعلماء بحيث تجب طاعتهم فيما هو طاعة لله تعالى.

قال الشوكاني: «وأولو الأمر: هم الأئمة والسلاطين والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية».[فتح القدير: ١/٤٨١].

ووجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله تبارك وتعالى أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر حتى يتحقق الامتثال لهذا الأمر، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده، وأحكام الشريعة والآيات الآمرة بتطبيقها والعمل بها يتوقف على وجود الدولة والإمام الذي يقوم بتطبيق هذه الأحكام، وذلك كقوله تعالى: « وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ » [المائدة:٤٩]، كما وردت أحاديث في السنة النبوية تفيد وجوب نصب الإمام، منها ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». [مسلم: ١٨٥١].

والحديث يفيد وجوب نصب الإمام، لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم ولا تكون إلا لإمام، فوجب إذًا وجوده، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم». وقال الألباني: حسن صحيح كما في صحيح أبي داود: ٢/٤٩٤.

قال ابن تيمية: «فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم، كان هذا تنبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك». [الحسبة/١١].

وفي مسند أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتنقضن عرى الإسلام

أولو الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية ، والأمر بطاعتهم دليل على وجوب تنصيبهم .



عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة».

[مسند أحمد ٥/٢٥١].

والمقصود بالحكم، الحكم على النهج الإسلامي، ويدخل فيه بالضرورة وجود الخليفة الذي يقوم بهذا الحكم، ونقضه يعني التخلي عنه وعدم الالتزام به.

وقد قرنه بنقض الصلاة وهي واجبة، فدل على وجوبه، وقد أمر الله تعالى بأمور ليس في مقدور آحاد الناس القيام بها كإقامة الحدود، وسد الثغور، وحفظ الشريعة وصيانتها والعمل بها، ونشر العدل ودفع الظلم، وغير ذلك من الواجبات التي لا يتمكن أفراد الناس من القيام بها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وعليه فتعيين الوالي أو الحاكم واجب، وقد ذكر ابن تيمية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لا بد للناس من إمارة برَّة كانت أو فاجرة، قالوا: يا أمير المؤمنين: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يُقام بها الحدود، وتؤمَّن بها السبل، ويُجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء».

[الحسبة: ١٦٢].

ومن الملاحظ أن الدول التي يسقط حكامها ولو زمنًا يسيرًا تسود فيها الفوضى، وتنتهك فيها الضروريات الخمس التي دعت الشريعة إلى حفظها وهي: (الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل)، وتكثر الفتن، قال الإمام أحمد بن حنبل: «الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر المسلمين».

[طبقات الحنابلة ١/٣١١]

ورحم الله ابن المبارك القائل:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا
بعروته الوثقى لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان مظلمة
في ديننا رحمة منه ودنيانا

[الحلية لأبي نعيم: ٨/١٦٤]

ومن المسَلم به أن الناس في اختلاف دائم؛ لاختلاف طبقاتهم وتشتت أهوائهم، فلو خُلُّوا وشأنهم دون سلطان مطاع لاعتدى بعضهم على بعض ولهلكوا، ولذا أقول: إن الناس بحاجة شديدة إلى من يقوم على أمرهم ويسوسهم بحكم الشرع لتأمين البلاد والعباد، ورسولنا صلى الله عليه وسلم أول من أسس دولة وكان إمامًا لها، والتأسي به في ذلك أمر مطلوب، وبلدنا اليوم تمر بمرحلة خطيرة - بعد أن أسقط رئيسها السابق - وتحتاج إلى القوي الأمين الذي يتقي الله ويقود الأمة بهدي الكتاب والسنة، لا يسعى لمصلحة شخصية، ولا لمنفعة دنيوية، ولا مانع لخلو المنصب الآن من أن يتقدم من يأنس في نفسه القيام بشئون البلاد، ويحتسب أجره على الله بعد العدل والإنصاف، وهو إن فعل ذلك كان مأجورًا، ونرجو أن يشمله قول النبي صلى الله عليه

الناس بحاجة شديدة إلى من يقوم على أمرهم ويسوسهم بحكم الشرع لتأمين البلاد والعباد.



وسلم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُوا».

[مسلم: ١٨٢٧].

وطلب الإمارة في هذه الحالة مع صلاح النية والسعي في الإصلاح لا يتعارض مع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن طلب الإمارة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن: لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها».

[مسلم: ١٦٥٢].

ومعنى وُكلت إليها: أي: أُسلمت إليها ولم يكن معك إعانة، بخلاف ما إذا حصلت بغير مسألة، وفي الصحيحين عن أبي موسى - رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بني عمر، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أَمِّرْنا على بعض ما ولاك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله، ولا أحدًا حرص عليه».

[البخاري: ٧١٤٩، ومسلم: ١٧٣٣].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «في التعبير بالحرص إشارة إلى أن من قام بالأمر عند خشية الضياع يكون كمن أُعطي بغير سؤال؛ لفقد الحرص غالبًا عمن هذا شأنه، وقد يغتفر الحرص في حق من تعين عليه؛ لكونه يصير واجبًا عليه».

[فتح الباري: ١٣/١٢٦].

وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - ربط النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن طلب الإمارة بالضعف كما في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين ولا تولَيَنَّ مال يتيم».

[مسلم: ١٨٢٦].

قال النووي رحمه الله: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأن الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث: سبعة يظلهم الله».

[شرح النووي على مسلم: ١٢/٢١٠، ٢١١].

نسأل الله تعالى أن يهيء لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزق بلادنا الأمن والاستقرار تحت قيادة حكيمة رشيدة تخشى الله وتتقيه وتقيم شرعه ودينه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

من لم يعدل في ولايته فإن الله يخزيه ويفضحه يوم القيامة، ومن عدل وكان أهلاً لها فله عند الله فضل عظيم.



حوار التوحيد

الجزء الثاني

مع الشيخ أبي الحسن المأربي «٢»

نحذر من الحزبية المقيتة .. والولاءات الضيقة

أجرى الحوار/ جمال سعد حاتم

متابعة /سامح أحمد أبو الروس

في زمن أصبحنا نُجيد فيه فن الاختلاف والافتراق ، ولا نُجيد فن الاجتماع والائتلاف ، ومع أن العالم من حولنا تجمعهم المصالح مع ما هم فيه من خلاف عظيم ، فكيف نتفرق نحن مع وجود ما يدعو إلى الاجتماع بيننا!!

وعن تصور علاج للخلاف الواقع والمترتب علي المشاركات السياسية والمشاركة في الأحزاب وغيرها من المسائل والمستجدات المعاصرة ، وتأثير السياسة علي الدعوة ، وإيجابيات وسلبيات ذلك.

وعن نصيحته إلى من دخل المعترك السياسي محذراً ألا يبالغوا في التفاؤل بأنهم يستطيعون تحقيق كل شيء من خلال هذه المشاركات قائلا: بأنه يكفيهم أن يقولوا : إنهم من الممكن ان يقللوا بعض صور الشر ؛ حتى يكون كلامهم أقرب إلى الواقع والاعتدال والإنصاف ، وأنه لا تعارض بين الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى الاتباع مع الدخول في العمل السياسي ، فهذا له مجموعة تقوم به ، وهذا له مجموعة أخرى تقوم به ؛ فللدعوة رجالها ، وللسياسة رجالها ، وأن الدخول في العمل السياسي يكون للمحافظة على الدين ما أمكن ، والمحافظة على الثوابت ما أمكن ، وتحقيق المصالح المتيقنة لا المتوهمة.

في ظل الأوضاع التي تمر بها كثير من البلدان.. في أمة الاسلام ، ما هو دور العلماء والمهمة الملقاة على عاتقهم ، مشيراً إلى أن أهل السنة قد حذروا من الحزبية المقيتة ، والأيام قد أثبتت أن الحزبية الضيقة والولاءات المتناحرة قد مزقت كلمة الشعوب ، وأوغرت صدور بعضهم على بعض ، والكثير مما يدور في خلد الإنسان وما يشعر به أثناء تأمله لما حوله وما يحل بالبلاد من فتن سرعان ما يجد نفسه في حاجة إلى العودة إلى شريعة رب العالمين.

وفي الجزء الثاني من هذا الحوار الذي بدأناه في العدد الماضي نستكمل مع الشيخ العلامة أبي الحسن المأربي حواره مستعينين بالله تعالى :

التحذير من الحزبية المقيتة والولاءات الضيقة

● في ظل الأوضاع الحالية التي تمر بها كثير من البلدان العربية، ما هو الدور الملقى على عاتق علماء الأمة؟!

يقول الشيخ: دور العلماء التوعية قبل وقوع المحنة، أما إذا وقعت الواقعة فلكل حادثة حديث، دورهم الأساس في الإرشاد بمنهج أهل السنة والجماعة، الذي هو صمام أمان للمجتمعات، والتاريخ شاهد على ذلك، ومَنْ شكّ فيه فقد شكّ في تاريخ أمته، وهذا المنهج قائم على تحذيرهم من الحزبية المقيتة والولاءات الضيقة، وحثهم على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الحزبية، ووعظهم بما جرى في الدول المحيطة في هذه السنوات القريبة فضلاً عما قبلها من التاريخ.

التحذير من الوقوع من سقطات الآخرين!!

إن أهل السنة قد حذروا من الحزبية المقيتة من أول يوم؛ لأنهم ينظرون إلى الأمور من خلال توجيهات قرآنية، وتعاليم نبوية، والإسلام يُحَرِّم هذا التفرق، فكان هناك من يقول: أهل السنة مغفلون، أو سطحيون، أو يعيشون في عالم آخر، أو لا يدركون ما يدور حولهم، لكن أثبتت الأيام والليالي أن الحزبية الضيقة والولاءات المتناحرة قد فَرّقت كلمة الشعب اليمني، وأوغرت صدورهم بعضهم على بعض، وجعلتهم كما يُقال: كل فتاة بأبيها معجبة، فكل واحد همه أن يتعصب لحزبه بعُجَره وبُجَره، وينكر ما عند الآخرين وإن كان حقًا، ويحرص على هدم ما يفعله الآخر وإن كان إنجازًا وخيرًا، وسيئات كل حزب هي حسنات الحزب الآخر، يطير بها كل مطار، ويدندن بها في المحافل العامة والخاصة، وبين أتباعه والمعجبين ببرامجه، وربما لم يكن مع بعض الأحزاب برنامج عملي لصالح المجتمع، إلا مجرد الوقوع على سقطات الآخرين، وها هم اليوم قد زحف بعضهم على بعض، وأيقن الكثير منهم بالهلكة، والعقلاء يصرخون فيهم بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في مسائل النزاع، وتحكيم العقل المجرد من الهوى، وقد أيقن أكثر الناس - إلا من بقي ملبَّسًا عليه- بأن الحزبية بهذه الصورة الموجودة في البلاد الإسلامية ما هي إلا دمار للبلاد وهلاك لها، فهل من عاقل؟ وهل من مُصْلِح؟ وهل من مُسْتَدْرِك للأمر قبل فوات الأوان؟

بناء مجتمع الدولة قبل إيجاد دولة المجتمع!!

● **هل تقترحون برنامجًا علميًا وعمليًا مؤصلاً تأصيلاً شرعيًا لمن نجح في البرلمان وعيونهم على السلطة وتولي زمام الأمور في مصر؟**

برنامجنا مأخوذ من الكتاب والسنة ومنهج الأئمة، ويقوم على عدة ركائز:

أولاً: إصلاح النفس أولاً، ثم إصلاح الآخرين والمجتمع، وهذا معناه: تربية النفس والمجتمع على الإخلاص لله عز وجل، والمتابعة لرسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والتجرد من الهوى، والأطماع العاجلة الفانية، والعادات الجاهلية، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، والسير على قواعد الدين وثوابته.

ثانيًا: بناء مجتمع الدولة قبل إيجاد دولة المجتمع، وهذا هو المناسب لظروفنا التي تمر بها أمتنا اليوم، وإلا فقد يكون السعي في الأمرين جميعًا هو المتعين، وقد يكون بناء المجتمع بعد وجود الدولة لا قبلها، كما حصل في الفتوحات الإسلامية، فقد كانوا يفتحون البلد، ويحكمونها بالمنهج الإسلامي، وأهلها غالبهم ليسوا مسلمين، ثم يدخلون في الدين بعد ذلك شيئًا فشيئًا، أما ظروف

أمر العامة في الفتن لا يستقل به حزب من الأحزاب دون الرجوع إلى أهل الحل والعقد في البلاد، لأن الشر سيعم الجميع إذا لم ينهض العقلاء لنزع الفتنة

أمتنا اليوم فالمناسب لها الأمر الأول؛ ولأن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد عُرض عليه في بداية الدعوة أن يكون الحاكم في قريش، ويعقدوا له ألويتهم، فلا يقطعوا في أمر دونه، لكنه أبى ذلك؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن المجتمع غير مهيأ لقبول تعليماته، ولأنه سيختلف مع أقرب الناس إليه إذا أمرهم بخلاف عاداتهم؛ ولأن أتباعه ستتنازعهم أهواؤهم ، فيفتك بعضهم ببعض.

كل هذا جعل النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يصبر على الدعوة والتربية، حتى هيَّأ مجتمعًا يقبل دعوته، فلما نزل الأمر بالحجاب في آخر الليل؛ جاء النساء عند الفجر وهن محجبات، دون تلعثم أو حنين لجاهلية، ولما نزل تحريم الخمر؛ ردّ بعضهم كأس الخمر من على فيه، ورمى بالجرار والأواني التي ينتبذون فيها الخمر في الشوارع، ولما شرعت الهجرة، تركوا أوطانهم، ورضوا بالغُرْبة في الحَبشة والمدينة من أجل الدين، ولما شُرع الجهاد لم يكن همهم جمع الغنائم، أو الانتقام لقبائلهم، بل كانوا يوالون أهل دينهم، وإن كانوا من أعدائهم في الجاهلية، ويتبرءون ممن صدّ عن دين الله، وإن كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، فالواجب أولاً تربية المجتمع على الامتثال لحكم الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قبل أن تُفرض عليهم هذه الأحكام بالسيف، فينشأ فيهم النفاق، والعياذ بالله، هذا، مع عدم إغفال كل ما يصلح للعباد في دنياهم، فإن ديننا منهج لعمارة الدنيا، والسعادة في الدارين.

الولاء والبراء من أجل العقيدة وأحكامها!!

ويستكمل الشيخ حديثه عن البرنامج التأصيلي قائلاً:

وليس معنى ذلك: أن نقول: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، فلله عز وجل الأمر كله من قبل ومن بعد، بل نسعى بقدر استطاعتنا إلى تحكيم شرع الله وترسيخه، ونسلك كل طريق يوصلنا إلى ذلك، وما عجزنا عنه فلن يطالبنا الله به، لكن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل، وجهاد تربوي شاق، أما أن يقال: نحن ندعو إلى الدولة المدنية لا الإسلامية، أو ندعو إلى ترسيخ الديمقراطية لا الشريعة الإسلامية، أو أن الولاء والبراء من أجل العقيدة وأحكامها المفصّلة أصبح نسيًا منسيًا، وإنما كان هذا في فترة من الفترات من القرون الخالية..... إلى غير ذلك من التنازلات؛ فهذا مما يصادم الدين، وإن كانت نوايا بعض من يقول ذلك حسنة، وسرائرهم منطوية على حب الإسلام وعقيدته، إلا أن هذا الطرْح المجرد من القيود والضوابط، سيربِّي رجالاً ونساءً يسيرون بلا قيود.

ثالثًا: لا يهمنا مَن يحكم، نحن أم غيرنا، وإنما الذي يهمنا أن يكون الحكم بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ونطيع من يحكمنا بذلك، وإن كان عبدًا حبشيًا، كأن رأسه زبيبة، فإن كان عدلاً؛ كنا معه على كل حال، وإن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا؛ أطعناه في الصالح دون الفاسد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مع نصحه بالتي هي أحسن.

رابعًا: نعلم أننا في زمن لا نستطيع أن نحقق فيه - بوضعنا الحالي- كل ما نعلمه من ديننا، وإذا كان كذلك فعند تزاحم المصالح والمفاسد: ننظر إلى خير الخيرين فنتبعه، وإلى شر الشرين فنجتنبه، ونقيم علاقاتنا مع الدول والشعوب المسلمة وغيرها على هذا الأساس، مع السعي لنشر التوحيد والاتباع، وتربية الأجيال على ذلك، ونشر قواعد الدين، وثوابته، وأحكامه، ونفرّق بين الأصول والفروع، والثوابت والمتغيرات، وندرك أن التعامل مع العالم يقوم على المصالح المشتركة، ولنا نظرتنا في المتغيرات والمستجدات، فلسنا ممن يشكك في كل جديد، ولا ممن ينخدع وينبهر بكل جديد، بل نرْجع ذلك إلى قواعد علمية أصيلة، فكل ما خالف نصًا شرعيًا محكمًا؛ فمردود وإن تشدق به المتشدقون، وكل ما سكت عنه الشرع، وكان فيه مصلحة - بتقدير أهل العلم والخبرة- فمقبول، فضلاً عما وافق الشرع.

السياسة الشرعية أصل أصيل في ديننا!!

ويوجز الشيخ حديثه عن السياسة الشرعية قائلاً:

فنحن بهذا البرنامج نستطيع أن نقول: السياسة الشرعية أصل أصيل في ديننا، وقد حُكم بها كل ما طلعت عليه الشمس وغربت، وقد كانت دولة الإسلام لا تغيب عنها الشمس، وكانت لا تُحكم إلا بالكتاب والسنة في الجملة، على قصور في بعض الحكّام، ونحن نسعى إلى أن يُحكَم العالم كله بهذا المنهج، ونسلك في سبيل ذلك منهج الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، فلا نرى ظُلم كافر فضلاً عن مسلم، وندعو إلى الحفاظ على ما بقي من خير في المجتمعات، ونور فيه ظُلْمة؛ خيرٌ من ظُلْمة لا نور فيها، ونتصدى للأفكار المنحرفة إفراطًا وتفريطًا، ونفنّد الشبهات التي يُشغّب بها الحاقدون من غيرنا والجاهلون من أبناء ملتنا بالأسلوب العلمي الهادئ، والحوارات القائمة على العقل الصريح والنقل الصحيح، ونحذّر من المنكرات والمعاصي والجرائم التي حرّمها ديننا، كل شيء حسب رتبته الشرعية، لا حسب ما تريده المنظمات الدولية، ونقبل من النظم والهيئات العالمية ما لا يتعارض مع ديننا وثوابتنا، ونضبط منهج الولاء والبراء، فلا طيش ولا ذوبان، ونربط الخَلَف بقواعد وأصول السلف، ونؤكد بأن الجهاد الشرعي من ديننا، لكن له ضوابط وقيود قد بيّنها العلماء، وهي بخلاف ما عليه كثير من تصرفات الشباب الشاذة، وأعظم جهاد في هذا العصر جهاد البيان والكلمة، والذبّ عن الدين وأحكامه وأهله، أما السياسة القائمة على الكذب والخداع، والمكايدات، والنفاق فنبرأ إلى الله منها، وإذا ابتلينا بشيء منها حاولنا من خلالها أن نقلل الشر ما أمكن، والله أعلم.

إعطاء مسائل الاختلاف حجمها الصحيح

● **لماذا نجيد فن الاختلاف والافتراق، ولا نجيد فن الاجتماع والائتلاف؟**

يقول الشيخ: إن هذا شيءٌ واقع يندى له الجبين ويتمزق له القلب، نسأل الله السلامة؛ لأن الأصل أن نكون على خلاف هذا، أن تكون دائرة الوفاق أعظم من دائرة الافتراق، والسلف رحمة الله عليهم كان جمهورهم على تعظيم مسائل الوفاق والائتلاف، وإعطاء مسائل الاختلاف حجمها الصحيح؛ حتى لا تطغى الجزئيات على الكليات، ولا الفرعيات على الأصول، وهذه كانت طريقة السلف رحمة الله عليهم، وهذا هو الشيء الذي جاءت به الشريعة، قال الله تعالى: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» [الشورى:١٣].

وجعل الله سبحانه وتعالى المتفرق في الدين من عمل أهل الشرك، قال الله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾» [الروم:٣١ - ٣٢]، والعقل يقضي بالاجتماع، فالناس إذا كانوا مجتمعين كانوا أقوياء، والواقع العملي الذي نعيشه عالم يتكتل رغم اختلافات وتباينات بعيدة جدًا، فأمريكا مثلاً إحدى وخمسين ولاية، والاتحاد الأوروبي اجتمعوا، وقبل

ذلك الاتحاد السوفيتي، كيف كان مجتمعًا؟! إلى غير ذلك.

فالعالم من حولنا يتجمع حول المصالح مع ما هم فيه من خلاف عظيم ، فكيف نحن نتفرق مع وجود أصول الاجتماع بيننا، فلو سألت المختلفين الآن عن مسائل العقيدة على وجه التفصيل لرأيت على الأقل جمهورهم متفقين عليها، لو سألتهم عن أئمة هذا الدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة وعلماء الأمصار لرأيتهم جميعًا قد أطبقوا على الثناء عليهم، والترحم عليهم، ووجوب المرجعية إليهم.

إذن فلماذا هذا كله؟! هذا التباعد والتهارج والتهاجر نتيجة أحد أمرين: الظلم والجهل، قال الله تعالى: «وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [الأحزاب:٧٢].

الجهل بالشرع والاعتداء على الخلق

ويضيف الشيخ قائلًا: إن الجهل بالشرع والاعتداء على الخلق داء وبيل ، وعلاج ذلك كله يكون بالعدل والعلم، فالعدل ضد الظلم، والعلم ضد الجهل، وإذا كان العدل عامًا، فنحن نعتقد أن العلم مأخوذ من منهج السلف الصالح، وفهمهم لنصوص الكتاب والسنة، فمرجعيتنا الصحيحة الواقعية الشاملة لمنهج السلف سببٌ عظيم للمخرج من هذه المحنة، مع صدق نوايانا، وغيرتنا على الدين، وهضم شخوصنا ونفوسنا، ووضع هذا كله تحت الأقدام لتقوم الدعوة، فهذا دفع عظيم نحو الائتلاف، بالإضافة إلى شعورنا أن كلاً منا لا يستطيع أن يقوم بالحمل وحده، وأن الحمل كبير، وأنا لا أقوم به وحدي، وأنت لا تقوم به وحدك، ولا بد من التعاضد والتعاون بدل التعارض والتخاذل، شعورنا بحاجة بعضنا لبعض، وابتعاد الغرور عنا بأن الواحد منا هو الذي سيقيم الإسلام وحده، وأنه سيشق الطريق ولا يبالي بأحد.. إلى غير ذلك، كل هذا سوف يساعدنا على الخروج من هذا التيه، فنحن دخلنا في هذا التيه مع وجود العلم، فإذا كان العلم ليس وسيلة تراحم فهو لغير الله، وإلا فالعلم رَحِم بين أهله، أما أهل الكتاب الذين اختلفوا وتنازعوا وتدابروا كما قال الله تعالى: «مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ» [الشورى:١٤]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يمكن أن تكون المسائل الاجتهادية سببًا في التهاجر إلا مع نوع بغي وظلم».

الدخول في العمل السياسي للمحافظة على الدين والثوابت

● هل يهجر المسلم أخاه في المسائل الاجتهادية؟!

يقول الشيخ: إنه لا يمكن أن يهجر المسلم أخاه بسبب المسائل الاجتهادية، إلا إذا كان هذا نوعًا من أنواع البغي والظلم، وإلا فالمسائل الاجتهادية لا تسوّغ هذا التهاجر، فإذا أردنا أن نجيد فن الائتلاف، فلنفقه الكتاب والسنة بفقه السلف الصالح، وفقه السلف الصالح ليس نتفة من كلام أهل العلم، إنما هي جمع بطريقة أهل العلم وشمولية منهجية أهل العلم.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الذي ينتسب إلى منهج السلف لابد أن يتبع طريقتهم في الخلاف والاجتماع».

ومعنى ذلك أنهم إذا اجتمعوا لا نخرج عن قولهم، وإذا اختلفوا ننظر كيف اختلفوا، وكيف تعاملوا مع الاختلاف؛ نتعامل مع بعضنا، كما تعاملوا هم، ومن لا يتبع منهج السلف في هذا فهو ليس على منهج السلف، ومن لم يسعه منهج السلف فلا وسّع الله عليه، وإذا كان السلف قد اختلفوا في مثل هذا ولم يفترقوا ثم آتي أنا وأنت نختلف ونفترق، إذن نحن لسنا على منهج السلف في هذا، وشيخ الإسلام لما رد على أهل البحرين قال لهم: «السلف اختلفوا في مثل هذا على ثلاثة أقوال، ولم يفترقوا فلماذا تفترقون أنتم وتتقاتلون».

لكل فن رجاله

الآن نتكلم على سبيل المثال مع هؤلاء المختلفين على الدخول في الأحزاب السياسية بشروط، منها أنك لا تجعل الباطل حقا، والحق باطلا، أنك لا تتنكر لمنهج الدعوة إلى الله، والدعوة إلى التوحيد، لكن أن تظن أن دخول هذا المجال جاء متأخرًا أو أننا انشغلنا بالدعوة إلى التوحيد عن العمل السياسي، وأننا قصرنا بعدم الدخول في هذا المجال، كل هذا ظن خاطئ، وجناية كبيرة على المنهج الدعوي، لأنه

> أهل السنة حذروا من الحزبية المقيتة من أول يوم، لأنهم ينظرون إلى الأمور من خلال توجيهات قرآنية، وتعاليم نبوية، والإسلام يحرم هذا التفرق!!

لا تعارض بين الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى الاتباع، مع الدخول في العمل السياسي، فهذا له مجموعة تقوم به، وهذا له مجموعة تقوم به، هذا له رجال وهذا له رجال، لكل فن رجاله، فليس كل عالم يصلح للسياسة، وليس كل عالم يصلح للدخول في مثل هذه المجالس؛ أحيانًا رجل ليس من العلماء يصلح للدخول في مثل هذا المجال، وهل كل عالم يصلح أن يكون رئيس مجلس إدارة شركة أو مهندسًا أو غيره؟!

بالطبع لا يشترط في العالم مثل هذا، وإنما يشترط في العالم أن يعلم الحكم الشرعي، فالعالم يفتي في مسائل الجهاد، وقد لا يعرف شيئًا عن استخدام الأسلحة أو أنواعها، ويفتي في الجهاد في سبيل الله، وفي السلم، وفي المهادنة والموادعة إلى غير ذلك، وهو لا يعرف عن الآلة التنفيذية لهذه الأمور، وربما جندي أو قائد مغوار وليس له صلة بالعلم يسد هذه الثغرة، فكل شيء له أهله، فنحن نقول: إن الدخول في العمل السياسي بهذه الضوابط، فتدخل لتنشر الحق، وأنك تدخل لتحافظ على الثوابت ما أمكن، وتحافظ على دينك ما أمكن، فإن غلبت على شيء، فأنت تفعله باعتبار أنك ستحقق مصلحة متيقنة أو راجحة لا متوهمة، في مثل هذه الحالة أنت تكون محسنًا غير مسيء، فمن ارتكب سيئة صغرى ليدفع العظمى فهو غير مسيء؛ لأنه متبع للشرع فلا يكون مسيئًا، فالاختلاف والتهارج والتهاجر سببه إما الجهل وإما الظلم، وعلاجه في العدل والعلم.

وليس كل ما يعرف يقال، وليس كل ما يقال قد جاء وقته

● فهل لكم أن تذكروا لنا علاجًا للقضاء على هذا الخلاف البين الواقع، والمترتب على المشاركات السياسية، وما يتضمنه ذلك من أمور السياسة الشرعية، والمشاركة في الأحزاب وغيرها، وما للسياسة من تأثير وسلبيات على الدعوة، فما هو علاج كل ذلك؟

ويمسك الشيخ بخيط السؤال وسرعان ما يقول:

الجواب: أنْ نختصر ذلك في نقاط:

أولاً: أن يتكلم في هذه المسائل من كان من أهل العلم الأتقياء المتجردين من الهوى الملمين بمنهج السلف وبالواقع الذي يتكلمون حوله.

ثانيًا: الصغار يرجعون إلى الكبار، ويتركون الخوض في الخلاف؛ لأن كثيرًا من مسائل الخلاف هي بسبب جراة الصغار، وبسبب اشتغالهم بين هذا العالم وهذا العالم؛ حتى أفسدوا كثيرًا من الود، وصرموا كثيرًا من الأواصر، وقطعوا كثيرًا من العلاقات؛ فليتقوا الله، وليشتغلوا هم بالتزكية، وبتحصيل العلم لأن هذا خيرٌ لهم من أن يتعصبوا للشيخ الفلاني أو للعالم الفلاني، ويصبروا على ما أوتوا، ويشتغلوا بما يحسنونه؛ فاتقوا الله ما استطعتم، وإذا لم تستطع شيئًا فدعه، وجاوزه إلى ما تستطيع.

لا بد من معرفة أدب الخلاف، وفقه الاختلاف، ومعرفة رتب المسائل، ومعرفة الشخص الذي تخالفه ويخالفك!!

وليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال قد جاء وقته وليس كل ما قد جاء وقته قد حضر أهله، الكلام في هذا يجب أن يكون من كلام أهل العلم الذين يعرفون متى يتكلمون، ومتى لا يتكلمون، ليس كل من عرف شيئًا في الدين لا بد أن يتكلم به، أحيانًا يكون الكلام في الشيء ضارًا؛ فهذا معاذ رضي الله عنه لما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا في فضل من قال لا إله إلا الله قال: «أفلا أبشر الناس». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تبشرهم فيتكلوا». فبوب عليه البخاري رحمه الله باب جواز كتمان العلم للمصلحة، فليس كل الناس يصلحهم العلم؛ بعض الناس يصلحهم أحيانًا السكوت.

مثلاً الحجاج بن يوسف الثقفي عندما حدثه أنس بن مالك حديث العرنيين الذين جاءوا إلى المدينة واجتووا المدينة، والنبي صلى الله عليه وسلم أذن لهم في إبل الصدقة، يشربون من أبوالها وألبانها، فلما صحوا استاقوا الإبل، وقتلوا الرعاة، وارتدوا بعد إسلامهم، وجيء بهم فقطع النبي صلى الله عليه وسلم أيديهم وأرجلهم من خلاف، وتركهم في الصحراء، يستسقون فلا يُسقون، وثمل أعينهم بمسامير الحديد التي أدخلت النار، فكانوا يخرجون ألسنتهم ليلمسوا برد الثرى من شدة العطش... هذا الحديث الذي حدّث به أنس الحجاج بن يوسف هو حديث صحيح لا خلاف في ذلك، ومع هذا أنكر

الصحابة رضوان الله عليهم على أنس قالوا: أنت تحدث بهذا؟! هل تراه محتاجًا إليه؟! فهو بالأساس ظلومٌ غشوم، لا يحتاج من يزيده بمثل هذا الحديث وبأدلة أخرى.

من الفقه وضع العلم عند أهله!!

ويواصل الشيخ معالجته للسؤال قائلاً: فمن الفقه أن تضع العلم عند أهله الذين ينتفعون به، ولا يزدادون به فسادًا، فنحن مثلاً نعيش بين القبائل في المجتمع اليمني، ونرى فيهم ولوغًا في الدماء، واستهانة بالحرمات، وقطعًا للطريق في بعض الحالات، فلا نحدثهم مثلاً بحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم أكمل بالمائة فنهوّن الأمر عليهم ونجعله عليهم يسيرًا، هذا ليس من الفقه وليس من الحكمة مثلاً أن تكلم العوام في مسائل الصفات فتشوش عليهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله» [أخرجه مسلم].

فمن المهم جدًا أن الذي يتكلم في هذه النوازل هم أهل العلم، ولا ينبغي أن يتكلم كل أحد فيها.

الثالث: إحياء القواعد الشرعية، مثل التعاون مع البر والفاجر في مسائل الخير، وهذا من هديه صلى الله عليه وسلم لعموم قوله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» [المائدة:٢]، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي تكلمنا عنه قبل قليل، وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «ونحن ننصر الكافر الملي على الكافر الوثني». هذا هو الفقه!!

وإحياء قاعدة لا ولاء ولا براء في مسائل الاجتهاد، وقاعدة المؤمن يُحَب ويُبغَض، ويوصل ويهجر، ويُعان ويُعاقب، بحسب ما فيه من خير، وشر، وسنة وبدعة.

الرابعة: معرفة أدب الخلاف، وفقه الاختلاف، ومعرفة رتب المسائل، ومعرفة الشخص الذي تخالفه ويخالفك هل هو ممن يتبع هواه ويريد الأتباع والأطماع، أم هو ممن يبحثون عن الحق وإن زلت قدمه، فلا شك أن هناك فرقًا بين أن نتعامل مع رجل صادق باحث عن الحق، وزلت قدمه، وضل حكمه في مسألة من المسائل، وبين رجل همه الأتباع والأطماع، فمعاملة هذا يجب أن تختلف عن معاملة ذاك.

ليست هناك فتوى مطلقة على كل شيء!!

ويواصل الشيخ تعريفه لأدب الخلاف قائلاً: فمعرفة المسألة المختلف فيها، ومعرفة الشخص المخالف، ومعرفة الظروف المحيطة بالخلاف، وهل من المصلحة الآن تغيير هذا المنكر، ففي قضية الانتخاب ومجلس الشعب مثلاً هناك رجل داعية أو عالم جعله الله سيفًا مسلطًا على العلمانيين والليبراليين، ما أتوا بشبه إلا ونسفها «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)» [الفرقان:٣٣]، حتى أثر فيهم وثبّت الله بكلامه أفئدة المؤمنين أمام هذه الشبهات ونفع الله به في هذا المجال، ولكني أخالفه في مسألة من المسائل، هل من المصلحة أن أشيع الخلاف معه في هذه المسألة لأهزمه أمام جحافل المخالفين له، أم المصلحة في مثل هذا أن أكتفي بالنصح السري بيني وبينه دون إشاعة هذا الأمر، فأحيانًا شيوع الإنكار أو إخفاء الإنكار أمر يحتاج إلى فقه، وهذا ابن تيمية عندما رأى أصحابُه جماعة من التتار يشربون الخمر، فأرادوا أن يُنكروا عليهم، قال ابن تيمية: فأنكرت عليهم، وقلت لهم: إن الله حرم الخمر؛ لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، أما هؤلاء فإن الخمر تصدهم عن قتل المسلمين وظلمهم؛ فدَعُوهم، هذا هو الفقه فمتى نفقهه؟!!!

نحن حرمنا هذا الفقه من زمن طويل، الأمر الذي جعلنا وصلنا إلى هذا الذي نحن فيه، فهذا الذوق خلت منه مجالسنا ومنابرنا خلت منه فتاوانا إلا من رحم ربي، فالمشكلة متى ننكر وكيف ننكر، المشكلة كيف نفهم فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فليست هناك فتوى مطلقة على كل شيء، هناك تفصيل في المسائل؛ باعتبار الأشخاص، وباعتبار الحال وباعتبار المآل، والنظر في المسائل، فمراعاة الأصلح في حال الأشخاص هذا من الفقه، قال الله تعالى: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)» [البقرة:٢٦٩].

ونحن في زمن الالتباس فالفتاوى المتعلقة بالأعيان، وستنزل على الواقع لا بد فيها من التفصيل أما في باب العمومات والحكم في المسألة، فلك أن تقول: هذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب وذاك مباح، كلام عام، أما في تنزيل هذه الأحكام العامة على واقع معين أو على شخص معين فلا بد من هذه التفاصيل أن تراعي أيضًا.

اتقوا الله: فإن الجرح والتعديل له أهله وشروطه!!

● هل من نصيحة توجهونها لطلاب العلم الذين يقومون بنشر الفتن بين العلماء بنقل كلام هذا على ذاك؟

في الحقيقة أحيانًا يكون الخطأ هو من الشيوخ، فلا نريد أن نحمل الطلاب كل شيء، فالشيوخ والملوك كالأسواق تُجلب إليها البضاعة التي تنفق فيها، فالشيخ الذي يربي طلابه على الخلافات والقيل والقال، ثم بعد ذلك يشغل طلابه بهذه الأشياء، هو الذي فتح لهم المجال من أجل أن يبحثوا عن هذه الأشياء، كلما جاءه أحدهم بجديد قرّبه ورفع من شأنه، وأضفى عليه من عبارات التعديل التي لا تُقال إلا في الأئمة الكبار، هذه الأشياء في الحقيقة

لها أثر كبير في إفساد الطلاب، وقد يفعلها الشيخ بحسن نية لكن على كل حال كان له إسهام ما، يكثر أو يقل في فتح هذه الهوة على المسلمين، والواجب على الشيخ أن يربي طلابه على العمل والتزكية لا على الجدل، وإذا وجد من طالب العلم أنه يشتغل بشيء من هذه المفسدات أن يوجهه فيقول اشتغل بكذا دع عنك كذا، ولا يطاوعه ولا يستمع إليه في هذه الأمور.

اجعل قلبك كالزجاجة الصافية!!

يقول الشيخ: انظر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية لما كان تلميذه ابن القيم يورد عليه شبهات كثيرة لأن ابن القيم قبل ذلك كان مع الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، فكان ابن تيمية يقول له: «لا تجعل قلبك كالإسفنجة، ما وُضع على شيء إلا شربه، ولكن اجعل قلبك كالزجاجة الصافية قوي لا يدخله شيء وصاف يُرى من خلاله الشيء».

قال ابن القيم: «فما نفعني الله بنصيحة كما انتفعت بهذه النصيحة». فنحن نريد من المشايخ أن ينصحوا طلابهم، وأن يوجهوا طلابهم إلى ما هو أنفع لهم، فمن كان صالحا في العبادة وجّهه إليها، ومن كان صالحا للدعوة يوجه إليها، ومن كان صالحا للمناظرة، ومقارعة المخالفين وُجّه إلى هذا، وهكذا تفرس في طلابك ووجّه كلاً منهم إلى ما هو صالح له، ولا يمكن أن يكون طلابك كلهم على شاكلتك والشيخ هو بوابة الطلاب للعلم، وكل شيخ له بصمة على طلابه، وكلما تعددت مشايخك تعددت أبواب الخير عليك، وكان الرجل من طلاب الحديث يذهب إلى العالم فيأخذ منه الحديث، ثم يجلس عنده، فيقول له العالم: قد أخذت ما عندي ما الذي أجلسك؟ قال: الآن أجلس للهدي والسمت، فالمشايخ عليهم دور كبير في توجيه الطلاب وفي إغلاق أبواب الجدال العقيم الذي لا فائدة منه إلا تفريق الأمة، وربما الانتكاسة، وقد رأينا كثيرًا من الذين اشتغلوا بهذه الخلافات انتكسوا، وأنا أعرف أناسًا عندنا في اليمن اشتغلوا بهذا والآن لا يصلون الصلاة ولا يدخلون المساجد، وكم كنا ننصحهم بخطورة هذا الطريق والابتعاد عنه، وأعراض الناس حفرة من حفر النار وقف عليها المحدثون والحكام، ومن وقف على هذه الحفرة فليتق الله، ومن قال في مؤمن قولاً ليس فيه طُولب يوم القيامة أن يأتي بالمخرج منه، وإلا حبس في ردغة الخبال، وهي عصارة أهل النار، نسأل الله العفو والعافية.

كل كلمة تقولونها ستجدونها في ميزانكم

فهذا من ناحية المشايخ، أما من ناحية الطلاب نقول لهم: اتقوا الله، فإن كل كلمة تقولونها ستجدونها في ميزانكم، سواء كانت في الحسنات أو في السيئات، ولا يغرنكم أن هذا جرح وتعديل، فإن الجرح والتعديل له أهله وله شروطه، وأنتم لستم أهله، ولا تعرفون شروطه، وعندما ننظر إلى أئمة الحديث فلا ننظر مثلاً إلى كتاب تهذيب التهذيب فيه قدر ثمانية آلاف ترجمة علماء حديث ورواة حديث، منهم الثقات وهم الكثير، ومنهم الضعفاء والكذابون إلى غير ذلك، لكن كم الذين اشتغلوا من الثقات بعلم الجرح والتعديل؟! كم عدد الأئمة ؟ وهذا الذهبي قد صنف في المتكلمين في رواة الحديث، وذكر المكثرين والمقلين ومن ليس له إلا قول واحد، فبلغوا نحو السبع مائة فقط من آلاف مؤلفة، فقط كتاب تهذيب التهذيب فيه قدر ثمانية آلاف كتاب فما ظنك بالكتب الأخرى التي ليس رجالها من رجال التهذيب!

علم الأئمة في الرواة

ويواصل الشيخ حديثه عمن ينسبون أنفسهم إلى أهل الجرح والتعديل من خلال تعريفه لهذا الكلام قائلاً:

أما نحن في زماننا فكل من له صلة بهذا العلم يعد نفسه عالمًا في هذا الأمر، فبعض الناس عندما هداهم الله إلى الإسلام والدين نصب نفسه إمامًا يحكم على الناس، فنحن نقول لهم: اتقوا الله لا يغرنكم الشيطان، وتقولوا هذا علم الجرح والتعديل، فنحن نعم نقول علم الجرح والتعديل علمٌ شريف عظيم وسيف من سيوف الله سلّه أهل العلم على أهل البدع والضلال والزندقة والمروق، والحرب على الإسلام والمسلمين، لكن استخدمه أهله بحق، فلم يتكلم فيه إلا العلماء الأتقياء المتجردون، ولم يتكلم فيه إلا من يعرف الأسباب الجارحة من غير الجارحة، ولم يتكلم فيه إلا من كان عنده علم بحال المتكلم فيه، أما اليوم فهناك من يخرج الرجل من منهج أهل السنة والجماعة لمجرد أنه لا يعرفه، ويقول: لو كان من أهل السنة لعرفناه!

فهذا ليس من علم الجرح والتعديل في شيء؛ فهو علم باقٍ وشريف للدفاع عن الإسلام والمسلمين أما علم الجرح والتعديل الخاص برواة الحديث فقد انتهى بانتهاء علم الرواية ولم يبق لنا إلا علم الأئمة في الرواة لا نزيد في ذلك ولا ننقص منه، لكن الدفاع عن الإسلام والمسلمين وبيان من يخدم الإسلام ومن يحاول أن يهدم الإسلام، كل هذه أشياء لا بد من بيانها.

أما هؤلاء فإذا أعجبهم شخص قالوا: فلان العالم العلامة الحبر الفهامة، لم يأت الزمان بمثله، وإذا لم يعجبهم ينقلبون عليه في يوم وليلة، وقالوا أجهل من حمار أهله، فهذا من الجهل والهوى، ونصيحتي لهؤلاء أن يشتغلوا بما ينفعهم من علوم الآلة، وحفظ المتون وسائر العلوم النافعة، ومجالسة العلماء

والصالحين وتدبر أنفسهم ومعالجتها، وربما ينخرم عمر المرء كاملاً وهو يربي نفسه ويجاهدها في الحسنات ومحاسبة النفس على الفعل.

الاشتغال بالناس تضييع للحسنات، وقسوة للقلوب!!

ولطلاب العلم موجهًا يقول:

نحن طلبة العلم أحيانًا نجيد أن نضفي الشرعية على أخطائنا، وهذا من الأشياء التي لا بد من تفقد النفس فيها، والانشغال بمعالجتها للاعتراف بالأخطاء، فمتى نفعل كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال عمر لحذيفة: هل أنا من الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني يتهم نفسه بالنفاق، وابن أبي مليكة يقول: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف على نفسه النفاق، والحسن البصري يقول عن النفاق: والله ما خافه إلا مؤمن، وما أمنه إلا منافق.

نحن نريد هذه الأبواب وهذه المعاني، طالب العلم بحاجة إلى أن يدرس هذه الأشياء، ويشتغل بها، أما الاشتغال بالناس فهو تضييع للحسنات وقسوة للقلوب، والحسن البصري رحمة الله عليه كان يقول: «لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت أبي، فهو أولى بحسناتي؛ لأن الذي سوف أغتابه سيأخذ حسناتي».

فنحن ننصح طلبة العلم بألا يكبروا الخلافات، وألا يسرعوا في فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي إليها.

أنصح بالبقاء على ما كانوا عليه من منهج

● ما هي النصيحة التي تقدمونها إلى من دخل إلى معترك العمل السياسي؟

يقول الشيخ: أنصحهم:

أولاً: بألا يكونوا مبالغين في التفاؤل بأنهم يستطيعون تحقيق كل شيء من خلال هذه المشاركات، ويكفيهم أن يقولوا: أنهم من الممكن أن يقللوا بعض صور الشر، لو قالوا هذا لكان أقرب إلى الواقع والاعتدال والإنصاف، ونحن نرى أنهم فعلاً من الممكن أن يقللوا بعض صور الشر، ونعينهم على هذا، ولذلك رأينا مساعدتهم؛ لأن الدخول في ذلك يغيّر شيئًا من الشر كثيرًا كان أو قليلاً ، كل بلد بحسب حالته الخاصة، لكن في الجملة ممكن أن يحصل تغيير، وهذه فتاوى جمهور كبار أهل العلم في هذا العصر.

ثانيًا: أنصحهم أيضًا بأن يبقوا على ما كانوا عليه من منهج؛ من الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى الاتباع وأصول الدعوة التي كانوا يدعون إليها، أن يبقى هذا صافيًا واضحًا لا يدخله شيء من الخلل في نظر الناس؛ حتى لا يقع الناس في التباس أننا غيرنا منهجنا، أو غير ذلك، ولكن يقولون دخلنا في هذه المجالات من باب أننا ما قُبل منا أن ندعو إلى العمل بالشريعة برمتها، وإن كنا نتمنى هذا ونرجوه ونعمل لتحقيقه، فنحن صبرنا على الباب الذي فيه نقص لأننا ألجئنا إلى هذا الباب، أما أن نقول: إن هذا هو الباب الحقيقي الذي ليس فيه شيء من الغبش، فهذا قد يتكلم به بعض الصغار، أما الكبار فأستبعد عليهم هذا، ومع كوني أخالف من يقول هذا الكلام إلا أنني أيضًا سوف أنصره أمام المخالف للحق والداعي إلى خلاف الحق سوف أناصره مع خلافي له؛ لأن التعاون في شيء لا يلزم فيه الموافقة في كل شيء ولا يلزم عدم التعاون في شيء المخالفة في كل شيء، هذه نصيحتي لمن سلكوا هذا المسلك.

لين الجانب مع المخالف!!

يقول الشيخ: وأتمم كلامي بنصيحة أخرى ألا وهي أن يلينوا جانبهم، وأن يلطفوا من عباراتهم مع إخوانهم الذين خالفوهم حتى يساعدوهم على تفهم عذرهم، والأسباب التي حملتهم على الدخول، فربما يؤدي ذلك إلى مشاركتهم معهم، الأمر الذي يؤدي بعد ذلك أن يكونوا أغلبية.

والسلفيون وإن حصلوا على شيء قليل في هذه المرحلة، أنا متأكد أن سبب ذلك أنه ربما الثلث فقط هو الذي ذهب من السلفيين إلى الانتخابات، وكثير من السلفيين لم يذهبوا لينتخبوا، والذين انتخبوا ليس كلهم أخرجوا نساءهم ولا بناتهم، ولا أولادهم إلى غير ذلك، بخلاف غيرهم الذي يخرج بقضه وقضيضه وإلا لو خرج السلفيون جميعًا لاكتسحوا الجميع، ولكانوا في المرتبة الأولى، وهذا معروف لأن عددهم أكبر بكثير، وإن المحبين لهم أكثر، فعلى المخالفين لهذا الأمر - وفيهم أفاضل وأكابر - نصيحتي لهم أنهم إذا كان ولا بد أن يخالفوا أن يحتفظوا بهذا القول لأنفسهم، ويتركوا إخوانهم ليجربوا أنفسهم مع الآخرين، فإن نجحت التجربة لحقوا بإخوانهم وإلا رجع إخوانهم إليهم، وأن تكون الخصومة بينهم وبين إخوانهم شريفة. «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا، وأبغض بغيضك يومًا ما عسى أن يكون حبيبًا يومًا».

فلا يجعلوا إخوانهم هدفًا لهم، ولا يجعلوا أعراضهم هدفًا لهم، ولا يوغلوا في هذه الأشياء.

وينتهي الحوار عند هذا الحد، ولكن يبقى الوصال بيننا بإذن الله، وعلى موعد بكتابات لمجلة التوحيد وحوارات أخرى، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى الطريق الصحيح.

باب التفسير

تفسير سورة «ص»

الحلقة الرابعة

قال تعالى: «وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ
ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
(٢٨) كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ
ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن
ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (٣٨) هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)» [ص ٢٧- ٣٩].

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

الحكمة من البعث بعد الموت:

لما حذر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام من اتباع الهوى بقوله: «وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ»، توعد من ضل عن سبيله، فقال: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦)» [ص: ٢٦]، إذا فلا بد من يوم الحساب حتى يفصل الله تبارك وتعالى بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، وحتى يجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

إننا نرى في هذه الدنيا من الناس البر والفاجر، ومنهم المسلم والكافر، ومنهم الظالم والمظلوم، ومنهم الصالح والطالح، ومنهم المصلح والمفسد، ثم الموت يعم الجميع، فلو لم يكن بعث بعد الموت، ليقضى الله تبارك وتعالى بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون، ويجعلهم فريقين: فريقا في الجنة وفريقاً في السعير، لاستووا أجمعون،والله تعالى قد نفى التسوية بينهم، فقال تعالى: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ (١٨)» [السجدة: ١٨]، وقال تعالى: «وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)» [غافر: ٥٨]

وقال تعالى: «أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ» [الجاثية: ٢١]

وقال تعالى: «أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)» [القلم: ٣٥ - ٣٦].

فلما ذكر الله تبارك وتعالى يوم الحساب أتبعه بقوله: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً»، والباطل ضد الحق، ولذلك قال تعالى: «مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [الدخان: ٣٩].

فقول «لا بعث بعد الموت» ، يفيد أن الله خلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً، وقول «لا بعث بعد الموت» يتهم الله تبارك وتعالى باللهو والعبث، والله تعالى منزه عن ذلك، «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٦)» [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، فلأن الله هو الحق فلابد من البعث

بعد الموت.

عقيدة الكافرين والمؤمنين:

أما الذين كفروا فإنهم يظنون بالله ظن السوء، ويتهمون الله تبارك وتعالى عن ذلك، «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا»، أما أهل الإيمان فإنهم يقولون كما قال الله سبحانه وتعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)» [آل عمران: ١٩٠ -١٩١]

ثم يعودون بعد هذا التفكير بتسبيحة طويلة لرب العالمين: «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [آل عمران: ١٩١].

جزاء المكذبين بيوم الدين:

ثم توعد الله الكافرين على هذا الظن فقال: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» على تكذيبهم بيوم الدين.

قال تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)» [الفرقان: ١١- ١٤]، «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» كيف قالوا لا بعث بعد الموت!

«أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ»:

فحتى تتم التفرقة بين أهل البر والفجور، بين أهل الطاعة والعصيان، فلابد من البعث بعد الموت؛ لأن الله تبارك وتعالى بحكمته جعل هذه الدار دار العمل، وجعل الآخرة دار الجزاء، كما قال عليٌّ رضي الله عنه: إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ. [رواه البخاري معلقا. باب في الأمل وطوله: (٢٣٥ /١١)].

الحث على تدبر القرآن:

ثم قال تعالى: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»:

كتابٌ مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وتقدير الكلام: هذا كتاب مبارك، عمت بركاته، وكثرت خيراته، أنزلناه عليك يا نبينا ليدبروا آياته، فهذا هو المقصود الأعظم من التلاوة، أن تقرأ وتتدبر وتفهم ثم تعمل، فلا يكن همك إذا قرأت آخر ما تقرأ، ولكن ليكن همك ما تفهم من هذا الكتاب الكريم، فلأن تقرأ جزءاً واحداً بتدبر خير لك من أن تقرأ عشرة أجزاء بلا تدبر، ولذلك قيل لابن عباس رضي الله عنهما: رجلان صليا ركعتين جميعا، فكان قيامهما وركوعهما وسجودهما سواء، إلا أن الأول قرأ البقرة وحدها، والثاني قرأ البقرة وآل عمران، فأيهما أحب إليك، أو أفضل عندك؟ قال الذي قرأ البقرة وحدها. لأن قراءته قراءة التدبر والفهم، وهذا هو المقصود الأعظم من القراءة «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» أولوا العقول السليمة.

قصة سليمان عليه السلام:

«وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ»: الولد هبة من الله للوالد، كما قال تعالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩)» [الشورى: ٤٩].

وكما أثنى الله تعالى على الوالد من قبل أتبع ذلك بالثناء على الولد فقال: «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ»، فالعبد هنا سليمان عليه السلام، لأن الثناء على داود سبق قبل ذلك: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)» [ص: ١٧] فقوله تعالى: «نِعْمَ الْعَبْدُ» يعني سليمان، «إِنَّهُ أَوَّابٌ»: الأواب صيغة مبالغة من الأوب وهو الرجوع، ومعناه كثير الرجوع إلى الله تبارك وتعالى.

«إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ» وهي الخيل، والخيل الصافنات هي التي تقوم على ثلاثة أرجل، وترفع الرابعة، وهن جياد في خلقتهن، وجياد في قوتهن، وجياد في سرعتهن.

«إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ» وهو من الظهر إلى المغرب.

«الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ» كان سليمان عليه السلام يستعرض الخيل، ففوجئ أن الشمس قد غربت

ولم يصلِّ العصر، «فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» والخير يطلق على المال، كما في قوله تعالى: «إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾» [العاديات: ٦- ٨]، وقال تعالى: «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾» [الفجر: ٢٠]، والخيل من المال فهي خير، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) [متفق عليه].

فسليمان عليه السلام انشغل بعرض الصافنات الجياد عن صلاة العصر، كما انشغل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر يوم الخندق، جاء عمر يقول يا رسول الله فعل الله كذا وكذا بالكفرة، ما صليت العصر حتى غربت الشمس، قال: وأنا والله ما صليتها. فهذه أعذار شرعية، الأنبياء معذورون فيها، ومع ذلك جعل سليمان عليه السلام ذلك سيئة، وجعله خطيئة، واستغفر الله منها، من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

« فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾» - أي توارت الشمس - « رُدُّوهَا عَلَيَّ » يعني الخيل، «فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ» جمع ساق «وَالأَعْنَاق» جمع عنق، فذبحها كلها، وتخلص منها؛ لأنها شغلته عن صلاة العصر، والنبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلاَّ أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ))

[أحمد (٥/٧٨، رقم ٢٠٧٥٨)، وقال الهيثمي (١٠/٢٩٦): رواه أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح].

فلما ذبح سليمان عليه السلام الخيل لأنها شغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس عوضه الله خيرًا منها، «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ» غدوها شهر ورواحها شهر.

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ »: الفتنة هي الاختبار والامتحان والابتلاء.

ما هي طبيعة الفتنة؟ وما حقيقة الجسد الذي ألقي على الكرسي؟

كل ما ورد في التفاسير من هذه الروايات فهو باطل، ينافي عصمة الأنبياء، وينافي جلالة قدرهم عليهم الصلاة والسلام، فالواجب إمرار هذه الآيات على ظاهرها كما جاءت، والإمساك عن الخوض فيما وراءها، فالله تبارك وتعالى أعلم بها، لم يأتنا في حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير لهذه الفتنة، ولا تفسير لهذا الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان.

«قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي» اغفر لي ماذا؟ قلنا في قصة أبيه أن الاستغفار لا يستلزم الخطيئة، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس استغفاراً وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم، « قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ»، فكان سليمان عليه السلام نبياً ملكاً، ولا تظن أنه كان يريد الدنيا، فالأنبياء ليس لهم همٌّ في الدنيا، الأنبياء أزهد الناس في الدنيا، ولكن أراد بالملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده أن يستعين به على نشر دين الله عز وجل، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

«قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» فاستجاب له ربه: «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً» هينة لينة، وليست عاصفة مدمرة، وإنما تجري بأمره «رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ» يعني حيث أراد.

«وَالشَّيَاطِينَ» منصوبة عطفاً على الريح، والشياطين فرق وأصناف منهم البنَّاء، يبني له ما يريد من قصور وعمارات، ومنهم الغوَّاص الذي يغوص في البحر، ويستخرج له الجواهر واللؤلؤ والمرجان.

«وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ» مقيدين مغلولين «فِي الأَصْفَاد»، وهذا من تمام تسخيرهم له، وقدرته عليهم، «وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ» [سبأ١٢-١٣]، وقال الله تعالى لسليمان: «هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ» أي أعط «أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَاب» فلن نحاسبك على عطائك ولا على إمساكك، هذا ما أعطاه الله له في الدنيا.

«وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا» في الآخرة «لَزُلْفَى» لقربى «وَحُسْنَ مَآب».

اللهم صل وسلم على عبدك ونبيك محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

باب السنة

أُنْزِلَ القرآن على سبعة أحرف

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده المصطفى ورسوله المجتبى وآله وصحبه ومن بهديه اهتدى، وبعد:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئْنِيهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من قرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ يا هشام». فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أُنزلت». ثم قال: «اقرأ يا عمر». فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أُنزلت، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه: أولها في كتاب الخصومات برقم (٩١٤٢) باب «كلام الخصوم بعضهم في بعض»، وثانيها في كتاب فضائل القرآن باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» برقم (٢٩٩٤)، وثالثها في فضائل القرآن أيضًا باب «من لم ير بأسًا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا»، ورابعها في كتاب استتابة المرتدين، باب «ما جاء في المتأولين» برقم (٦٣٩٦)، وآخرها في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «فاقرءوا ما تيسر منه» برقم (٠٥٥٧)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب «بيان أن القرآن أُنزل على سبعة أحرف وبيان معناها». وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الصلاة باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» برقم (٥٧٤١)، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب القراءات، باب «ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف» برقم (٣٤٩٢)، والإمام أحمد في المسند برقم (٨٥١)، والإمام مالك في الموطأ كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن برقم (٣٧٤)، كما أخرجه الإمام النسائي في المجتبى كتاب الصلاة باب «جامع ما جاء في القرآن» برقم (٧٣٩، ٨٣٩، ٩٣٩).

قال صاحب الإتقان في علوم القرآن:

وقد ورد هذا الحديث من رواية جمع من الصحابة: أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد،



وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم بن حزام، وأبي بكرة، وأبي جهيم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأم أيوب، وهي امرأة أبي أيوب - كما في الترمذي - فهؤلاء واحد وعشرون صحابيًا، وقد نص أبو عبيد على تواتره. اهـ.

فأما رواية أُبَيٍّ فأخرجها مسلم في صحيحه (٨٢٠)، وأما رواية أنس فأخرجها الإمام الطبري في تفسير الطبري ١/٣٠، طبعة: شاكر، وأما حديث حذيفة فأخرجه الإمام أحمد (٥/٣٨٥-٤٠٠)، والطبراني في التفسير، وصححه الشيخ أحمد شاكر، وأما حديث زيد بن أرقم فأخرجه الطبراني كما عزاه له الهيثمي في المجمع، وأما رواية سمرة بن جندب فأخرجه الإمام أحمد (٥/٦١)، وابن أبي شيبة في المصنف (ح: ١٠١٣٧)، ورواية سليمان بن صرد أخرجها الطبري في التفسير، وصححه الشيخ شاكر، ورواية ابن عباس متفق عليها، وحديث ابن مسعود أخرجه الطبري في التفسير، والهيثمي في المجمع، وعزاه للبزار وأبي يعلى والطبراني في الأوسط، وحديث عبد الرحمن بن عوف فأشار إليه في الإتقان ، ورواية عثمان بن عفان عزاها الهيثمي في المجمع لأبي يعلى، وحديث عمر هو الحديث الذي معنا وقد سبق تخريجه، وأما رواية عمر بن أبي سلمة فعزاها محقق (الزيادة والإحسان) إلى صاحب الإتقان وإلى صاحب النشر، وأما حديث عمرو بن العاص ففي مسند الإمام أحمد (٤/٢٠٥)، وحسنه الحافظ في الفتح، وكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأما حديث معاذ بن جبل فقد ذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وأما حديث هشام بن حكيم ففي صحيح البخاري...، وأما رواية أبي بكرة ففي مصنف ابن أبي شيبة، وذكرها البيهقي في المجمع وعزاه لأحمد في المسند والطبراني، وحديث أبي جهيم في مسند أحمد وتفسير الطبري، وحديث أبي سعيد الخدري عزاه في المجمع للطبراني في الأوسط، وحديث طلحة الأنصاري أخرجه...، وحديث أبي هريرة رواه صاحب الإتقان، وأبو عبيدة في فضائل القرآن، وابن الجزري في النشر، وأما حديث أم أيوب ففي سنن الترمذي.

شرح الحديث

قوله: «فكدت أساوره» أي آخذ برأسه، أو أواثبه، ووقع عند الكشميهني والقابسي في رواية شعيب الآتية: «أثاوره». قال الحافظ: ومعناهما صحيح، ووقع في رواية مالك: «أن أعجل عليه».

قوله: «فتصبرت». وفي رواية مالك «ثم أمهلته حتى انصرف» أي: من الصلاة، كما في هذه الرواية «حتى سلم».

قوله: «فلببته بردائه». قال النووي: معناه: أخذت بمجامع ردائه في عنقه، وجررت به.

قال: وفي هذا بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن، والذبِّ عنه، والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما تجوِّزه العربية.

قوله: «كذبت» إنما أطلق ذلك على غلبة الظن، أو أنه أراد أخطأ، فقد يُستعمل الكذب موضع الخطأ.

قوله: «فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها» استدلال من عمر على ما ذهب إليه من تخطئة هشام، وإنما ساغ له ذلك لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته، بخلاف هشام فإنه كان قريب عهد بالإسلام، فخشي عمر ألا يكون أتقن القرآن، أما عمر فإنه كان قد أتقن ما سمع، وسبب اختلافهما واضح وهو أن عمر رضي الله عنه سمع هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها قديمًا، ولم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه، وأما هشام فكان من مُسلمة الفتح فكان النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه على ما نزل أخيرًا فنشأ اختلافهما من ذلك، ومبادرة عمر للإنكار تحمل على أنه لم يكن سمع حديث «أُنزل القرآن على سبعة أحرف»، إلا في هذه الحادثة.

قوله: «فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» لمَّا لبَّبَه بردائه صار يجرّه به، فلهذا صار قائدًا له، ولولا ذلك لقال: يسوقه، ولهذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أرسله» عندما وصلا إليه.

المراد بالأحرف السبعة

اختلف العلماء في ذلك اختلافًا كثيرًا، وقد نقل السيوطي في الإتقان عن ابن النقيب في تفسيره عن ابن حبان قوله: اختلف أهل العلم في الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً.

تتلخص في الآتي :

١- منها ثلاثة عشر قولاً تدور حول الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعظ والأمثال والقصص وحلال وحرام .

٢- ومنها خمسة أقوال تدور حول الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخصوص والعموم والفرائض والحدود والمؤخر والمقدم .

٣- ومنها سبعة أقوال تدور حول لغات قبائل العرب المختلفة، لكل قبيلة مشهورة لغة.

٤- ومنها ستة أقوال تدور حول إظهار الربوبية وإثبات الألوهية، وإثبات صفات الله تعالى، والإيمان بالله تعالى ومباينة الشرك، وتفسير آية بآية أخرى، إلى غير ذلك .

٥- ومنها قول أنها سبع قراءات لسبعة من الصحابة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم.

٦- ومنها ثلاثة أقوال تدور حول تصريف الأفعال والعروض والغريب والسجع وغيرها.

قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضًا، وكلها محتملة ويحتمل غيرها.

قال المرسي (الناقل عن ابن حبان): هذه الوجوه أكثرها متداخلة، ولا أدري مستندها، ولا عمن نُقلت، ولا أدري لم خصَّ كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكرَ، مع أن كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص، وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة، وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم بن حزام الذي في الصحيح، فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا في أحكامه، وإنما اختلفا في القراءة. اهـ.

وقد ذكر الإمام السيوطي - رحمه الله - في الإتقان أقوالاً أخرى غير ما تقدم كما يلي:

أحدها: أنه من المشكل الذي لا يُدرَى معناه، قاله ابن سعدان النحوي.

الثاني: أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل، ولفظ السبعة يُطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، وإلى هذا جنَح عياض ومن تبعه وبعض روايات الحديث ترده.

الثالث: أن المراد سبع قراءات.

الرابع: أنه الأوجه التي يقع بها التغاير، ذكره ابن قتيبة قال:

وأولها: ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته؛ مثل «ولا يضارٌّ» بالرفع والنصب.

ثانيها: ما يتغير بالفعل؛ مثل: «بَعِّدْ» و«بَاعِدْ».

ثالثها: ما يتغير بالنطق؛ مثل: «ننشرها»، «وننشزها». رابعها: ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل: «طلح»، «طلع».

خامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: «وقاتلوا وقتلوا»، «وقتلوا وقاتلوا».

سادسها: ما يتغير بزيادة ونقصان، مثل: «والذكر والأنثى»، «وما خلق الذكر والأنثى».

سابعها: ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل: «كالعهن المنفوش»، «كالصوف المنفوش».

الخامس: قال أبو الفضل الرازي في «اللوائح»: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه:

أولها: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث. ثانيها: اختلاف تصريف الأفعال؛ من ماض ومضارع وأمر. ثالثها: وجوه الإعراب. رابعها: تصريف النقص والزيادة. خامسها: التقديم والتأخير. سادسها: الإبدال. سابعها: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم، ونحو ذلك.

السادس: قال بعضهم: المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إظهار وإدغام، وتفخيم وترقيق، وإمالة وإشباع، ومد وقصر، وتشديد وتخفيف، وتليين وتحقيق.

السابع: قال ابن الجزري: تتبعت صحيح القراءة وشاذها وضعيفها، فإذا هي ترجع في اختلافها إلى سبعة أوجه لا تخرج عنها، وذلك: إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو: «بالبُخل» بضم الباء وسكون الخاء وبفتح الباء والخاء «والبَخَل» «ويَحْسَبُ» «ويَحْسِبُ» بفتح السين وكسرها ، أو بتغير في المعنى فقط نحو: «فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ» «فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ» وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو: «تبلوا»، و«تتلوا»، وإما عكس ذلك نحو «السراط» و«الصراط»، وإما بتغيرهما نحو: «فامضوا»، «فاسعوا»، وإما في التقديم والتأخير نحو: «فيقتلون ويقتلون»، وإما في الزيادة والنقصان نحو: «أوصى»، «وصَّى».

الثامن: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة، نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وعَجِّل وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير، وابن وهب، وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء.

والأربعة الأقوال الأخرى كلها تدور حول ألفاظ ومعاني لا علاقة لها بالقراءات ، وإنما تتعلق ببعض العلوم وبعض العبادات وبعضها يدور حول الألفاظ اللغوية.

قال صاحب كتاب: «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» محمد بن أحمد بن عقيلة المكي:

وفي الإتقان أقوال أُخر متداخلة مع ما تقدم، فلذا تركت هذا - فهذه سبعة وأربعون قولاً في معنى الأحرف السبعة التي أنزل القرآن بها.

وللحديث بقية حول الحديث، وترجيح ما يترجح من هذه الأقوال في المراد بالأحرف السبعة، نتكلم عنه في العدد القادم، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

مساعد رئيس الجمهورية السوداني في المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان:

نرحب ونشيد بوجود وفد أنصار السنة من مصر مطالبا بالتآلف لصد الأخطار عن البلاد

كما هو الحال والمقام، فجماعة أنصار السّنة في مصر ومنذ نشأتها على يد مؤسسها الأول الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- وهي تعمل على نشر التوحيد الخالص، والعقيدة الصحيحة، بل كانت منذ نشأتها عنصرًا لزرع التهدئة والأمن والأمان في ربوع الأوطان، من خلال منهج صحيح يقوم على الوسطية دون إفراط أو تفريط .

وكما كانت أنصار السنة منذ نشأتها لا تتوانى عن تقديم الدعم ، ومد يد العَوْن إلى إخوانهم في كل مكان ، فقد كان لحضور ممثلين لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر لفعاليات المؤتمر العام الرابع للجماعة في السودان الشقيق الأثر الطيب في نفوس الجميع، فلم تنقطع الجماعة في مصر عن إخوانهم في السودان في وقت من الأوقات، بل إن التواصل كان دائمًا هو العنوان الذي حرص الجميع عليه، فلم تنقطع الزيارات العلمية والعملية والدعوية على مر السنين.

وبدعوة كريمة من إخواننا في السودان الشقيق لحضور فعاليات المؤتمر العام الذي عُقد تحت عنوان «جماعة قوية مؤتلفة فاعلة»، وذلك مساء الأحد ٦ من صفر ١٤٣٣هـ الموافق ١ يناير ٢٠١٢م، بالمقر القومي للمعسكرات، وحضرها جمع غفير من المسئولين والمواطنين، ومنسوبي الجماعة بالسودان، يتقدمهم الدكتور نافع علي نافع، مساعد رئيس الجمهورية، وممثل رئيس الجمهورية لحضور المؤتمر، والذي أشاد بحضور وفد أنصار السنة بمصر لهذا المؤتمر، مؤكدًا على أن الجماعة بمصر هي الجماعة الأم لأنصار السنة، والدكتور كمال عبيد وزير الإعلام السابق، وعدد من البرلمانيين والمسئولين، وممثلين عن المنظمات الممثلة للمجتمع المدني والجهات والمؤسسات الدعوية.

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ أبو زيد محمد حمزة الرئيس العام للجماعة بالسودان على أن الجماعة بدأت نشاطها بالسودان منذ عدة عقود، ولم يُعرف عنها حرصها على إشاعة الفوضى وإثارة الفتنة، وإنما عُرف عنها الحرص على هداية المجتمع للأصلح في كافة مناحي الحياة، وأن الإصلاح يبدأ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك ، وأن يتوجه الناس بقلوبهم إلى الله عز وجل وحده.

كما أكد الدكتور كمال عبيد وزير الإعلام السابق أن نجاح المؤتمر جاء نابعًا من التزام جماعة أنصار السنة بالسودان للخط والمنهج الذي ارتضته الجماعة لنفسها ، ومنه تأكيد الجماعة على الدور الإصلاحي في كل مناحي الحياة .

وقد أكّد الشيخ زكريا حسيني محمد عضو مجلس إدارة جماعة أنصار السنة بمصر في كلمته التي ألقاها في المؤتمر عن سعادته لمشاركة إخوانه في السودان في هذا المؤتمر الذي انبثق عنه دستور جديد للجماعة بعد تعديله ، ووضع خطة عمل للجماعة للسنوات القادمة ، وكذلك تشكيل مجلس شوري للجماعة، مطالبًا الجميع بالعمل على توحيد الصف، ووحدة الكلمة تحت راية التوحيد.

وقد أعرب الشيخ جمال عبد الرحمن عضو مجلس إدارة جماعة أنصار السنة بمصر في الحوار الذي أجري معه علي هامش المؤتمر عن مدى السعادة والإحساس بالقوة عندما التقى بإخوانه على المنهج القويم، تجمعنا الأخوة الصادقة كما رأيت في هذا المؤتمر الذي جمع كل أطياف الوطن في السودان الشقيق تحت راية التوحيد.

وفق الله إخواننا في السودان إلى ما يحب ويرضى.

رئيس التحرير

درر البحار

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد / علي حشيش

٢٧٦٨- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْوِتْرُ حَقٌّ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسِ رَكَعَاتٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلاَثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ».

[د(١٤٢٢)، ن(٣/٢٣٨)، جه (١١٩٠)، واللفظ لأبي داود، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٦٩- عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو أَيُّوبَ غَازِيًا وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ عَلَى مِصْرَ فَأَخَّرَ الْمَغْرِبَ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو أَيُّوبَ فَقَالَ لَهُ مَا هَذِهِ الصَّلاَةُ يَا عُقْبَةُ؟ فَقَالَ: شُغِلْنَا قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لاَ «تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ - أَوْ قَالَ: عَلَى الْفِطْرَةِ - مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَشْتَبِكَ النُّجُومُ»

[د (٤١٨)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٧٠- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقَدَّمُوا الشَّهْرَ حَتَّى تَرَوُا الْهِلاَلَ قَبْلَهُ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثُمَّ صُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ قَبْلَهُ».

[ن(٤/١٣٥)، وهذا حديث صحيح].

٢٧٧١- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه.

[د (٩٠٥)، وهذا حديث حسن].

٢٧٧٢- عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِقَصْعَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجِيءُ رَجُلٌ مِنْ هَذَا الْفَجِّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ هَذِهِ الْفَضْلَةَ قَالَ سَعْدٌ وَكُنْتُ تَرَكْتُ أَخِي عُمَيْرًا يَتَوَضَّأُ قَالَ فَقُلْتُ هُوَ عُمَيْرٌ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ فَأَكَلَهَا.

[حم (١٤٥٨)، وهذا حديث حسن].

٢٧٧٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْصَرَ رَجُلاً يُصَلِّي وَحْدَهُ فَقَالَ أَلاَ رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ.

[د (٥٧٤)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٧٤- عن لَقِيطِ بْنِ صَبِرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْوُضُوءِ. قَالَ: أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلِ الأَصَابِعَ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِمًا.

[د(١٤٢)، ن(١١٤)، ت(٧٨٨)، جه(٤٤٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح].

٢٧٧٥- عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رضي الله عنه قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً.

[د (٢٥٤٨)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٧٦- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ

هُدًى كَانُوا عَلَيْه إلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلاَ هَذِه الآيَةَ «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» [الزخرف: ٥٨] الآيَة. [ت(٣٢٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، جه (٤٨)].

٢٧٧٧- عن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: «مَا كَانَ يَفْضُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم خُبْزُ الشعيرِ».

[ت(٢٣٥٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب].

٢٧٧٨- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِه».

[ت(٢٤٣٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح واللفظ له، جه (٤٢٨٦)].

٢٧٧٩- عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ وَلَهَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ تُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكُمْ وَلَهَا الدُّنْيَا إِلاَّ الْقَتِيلُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى.

[ن (٦/٣٥)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٨٠- عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ قَالَ كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُسْرٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ بُسْرٍ رضي الله عنه جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ.

[د(١١١٨)، واللفظ له، ن(٣/١٠٣)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٨١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كُلُّ قَسْمٍ قُسِمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ عَلَى مَا قُسِمَ لَهُ وَكُلُّ قَسْمٍ أَدْرَكَهُ الإِسْلاَمُ فَهُوَ عَلَى قَسْمِ الإِسْلاَمِ.

[د(٢٩١٤)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٨٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ نَهَى عَنْ لَبَنِ الْجَلاَّلَةِ.

[د(٣٧٨٦)، وهذا حديث صحيح، والجلالة: هي الدابة التي تأكل النجاسات سواء البقر والغنم والإبل].

٢٧٨٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً فَقَالَتْ امْرَأَةٌ أَيُبْصِرُ أَوْ يَرَى بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ قَالَ يَا فُلاَنَةُ: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» [عبس: ٣٧]

[ت(٣٣٣٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

تنبيه: هناك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه ﷺ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فقال: «الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ».

[وهذا حديث في أعلى مراتب الصحة، حيث إنه متفق عليه (خ٦٥٢٧)، م(٢٨٥٩)، واللفظ للبخاري، ولذلك أوردناه في هذه السلسلة برقم (١٨٥) في مرتبة المتفق عليه.

(غُرْلاً): يعني غير مختونين، جمع: أغرل.

دراسات قرآنية

عظمة القرآن



إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فما يزال حديثنا متصلاً حول عظمة القرآن، فمن عظمته أنه تنزيل رب العالمين:

القرآن تنزيل رب العالمين

قال الله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾» [الشعراء:١٩٢ - ١٩٣]، أسند الله - جل جلاله - إنزال القرآن إلى نفسه في خمسين آية من آيات القرآن المجيد أو يزيد، وفي هذا دلالة على كمال العناية الإلهية بالقرآن، مما يهز المشاعر ويحرك الوجدان، ويبعث على تربية المهابة منه عند سماعه.

كما أن في ذلك تنبيهًا على أنه مُنزَّل من لدن حكيم خبير، وكمال القائل يدل على صدق المقول، وعظمته مكتسبة من عظمة مُنزِله.

وقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾» [القدر:١]، وفي إسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن، ولا شك أن هذا «تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحله، بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به، كأنه حاضر في جميع الأذهان، وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به».

فمن عظمة القرآن أنه نزل من الله تعالى وحده لا من غيره، لنفع الناس وهدايتهم فاجتمعت في القرآن العظيم خمس فضائل:

١- أنه أفضل الكتب السماوية.

٢- نزل به أفضل الرسل وأقواهم، الأمين على وحي الله تعالى.

٣- نزل على أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- نزل لأفضل أمة أُخرجت للناس.

٥- نزل بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين.

القرآن مستقيم ليس فيه عوج:

أثنى الله تبارك وتعالى - الذي لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه - وذكر أنه مستحق للحمد على إنزاله القرآن العظيم؛ تنبيهًا منه تعالى على أنه أعظم نعمائه؛ لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد، وقد علَّم عبادَهُ كيف يحمدونه على إفاضة هذه النعمة الجليلة، فقال سبحانه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

حَسَنًا ﴿٢﴾» [الكهف:١-٢].

قال أهل اللغة: إن العِوَجَ في المعاني كالعوج في الأعيان، ونفي العوج عن القرآن له عدة أوجه، منها:

الأول: نفي التناقض عن آياته، كما قال تعالى: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾» [النساء:٨٢].

الثاني: أن كل ما ذكر الله تعالى في القرآن، من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف فهو حق وصدق، ولا خلل في شيء منه البتة.

وأخبر تعالى كذلك عن القرآن أنه ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، فقال: « قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » [الزمر:٢٨] أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته، فقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بوصفين عظيمين، مشتملين على أنه الكامل من جميع الوجوه، وعظيمٌ بكل ما تعبّر عنه الكلمات، وهما:

١- نفي العوج عنه: وهذا يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث.

٢- إثباتُ أنه مستقيم مُقيم: فالقرآن العظيم مستقيم في ذاته، مقيم للنفوس على جادة الصواب، وإثبات الاستقامة يقتضي أنه لا يُخبرُ ولا يأمر إلا بأجل الإخبارات، وهي الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيمانًا وعقلًا، كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإخبار بالغيوب المتقدمة والمتأخرة.

وأن أوامره ونواهيه تزكي النفوس وتطهرها، وتنميها وتكملها؛ لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له.

فحقيق بكتاب موصوف بما ذُكر أن يحمد الله تعالى نفسه على إنزاله.

وبنفي العوج عن القرآن الكريم، وإثبات استقامته، تتجلى عظمته وعلو شأنه ومنزلته عند الله تعالى.

خشوع الجبال وتصدعها

فلقد بلغ من شأن القرآن وعظمته، وشدة تأثيره أنه لو أنزل على جبل من الجبال وجُعل له عقل كما جعل للبشر، لرأيت الجبل - مع كونه في غاية القسوة والصلابة - خاشعًا متصدعًا من خشية الله، كما قال الله تعالى: « لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾» [الحشر:٢١] أي: لاتّعَظ الجبل وتصدع صخره من شدة تأثره من خشية الله.

ففي هذا «بيان حقيقة تأثير القرآن وفاعليته في المخلوقات، ولو كانت جبلًا أشم أو حجرًا أصم».

وضُربَ التَّصدُّع مثلًا لشدة الانفعال والتأثر؛ لأن منتهى تأثّر الأجسام الصلبة أن تنشقّ وتتصدع ولا يحصل ذلك بسهولة.

والخشوع: هو التَّطاطؤ والركوع، أي لرأيته ينزل أعلاه إلى الأرض.

والتصدع: التّشقق، أي لَتَزلزَل وتشقق من خوفه سبحانه وتعالى.

ولا شك أن هذا تعظيمٌ لشأن القرآن، وتمثيلٌ لعلوِّ قدره وشِدَّة تأثيره في النفوس؛ لما فيه من بالغ المواعظ والزواجر، ولما اشتمل عليه من الوعد الحق والوعيد الأكيد؛ فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن - كما فهمتموه - لخشع وتصدع من خوف الله تعالى، فكيف يليق بكم أيها البشر ألاّ تلين قلوبُكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه.

والمقصود من إيراد الآية: إبراز عظمة القرآن الكريم، والحثّ على تأمُّل مواعظه الجليلة، وأداءُ حق الله تعالى في تعظيم كتابه، وتوبيخُ من لا يحترم هذا القرآن العظيم، وفيه كذلك تمثيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ.

انقياد الجمادات لعظمة القرآن

يقول الله تعالى مبينًا ومنبهًا على عظمة القرآن وتأثيره: «وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ» [الرعد:٣١]، فهذا شرطٌ جوابه محذوف، والمراد منه: تعظيم شأن القرآن العظيم.

والمعنى: ولو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبال عن مقارِّها، وزعزعت عن مضاجعها، أو قُطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعًا، أو كُلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن؛ لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف».

وفي بيان المقصود هنا يقول أبو السعود رحمه الله: «والمقصود بيان عظم شأن القرآن العظيم، وفساد رأي الكفرة؛ حيث لم يقدُروا قدره العلي، ولم يعدُّوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره، مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام... فالمعنى: « وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ» [الرعد:٣١] أي: بإنزاله أو بتلاوته عليها، وزُعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام، «أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ» [الرعد:٣١] أي: شققت وجعلت أنهارًا وعيونًا، كما فُعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه، أو جُعلت قطعًا متصدعة، أو «كُلم به الموتى» أي: بعدما أحييت بقراءته عليها، كما أحييت لعيسى عليه السلام، لكان ذلك هذا القرآن؛ لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة

الله تعالى وهيبته». فمما تقدم يتبين لنا عظمة القرآن وعلو شأنه ومنزلته وتأثيره.

تحدي الإنس والجن بالقرآن

من مظاهر عظمة القرآن وعلوِّ شأنه أن الله تعالى تحدَّى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة مثله. قال الله تعالى: « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) » [الإسراء:٨٨]، «قل» لا يقولها الحق سبحانه بينه وبين رسوله، بل المراد: أعلنها يا محمد على الملأ، وأسمع بها الناس جميعًا؛ لأن القضية قضية تحدٍّ للجميع». ولقد ثبت بما لا يدع ثلمةً لمرتاب أن القرآن العظيم تنزيلُ من رب العالمين على خاتم المرسلين، وأن الخلق جميعًا لو تضافرت جهودهم واتحد رأيهم على غاية واحدة هي أن يأتوا بمثل هذا القرآن في قمة فصاحته، وذروة بلاغته، وعُمق معناه، وما احتواه من شرائع وآداب، لم ولن يأتوا بمثله.

ولما لم يعتدَّ المُعارضُ بالوحي، ولم يقتنع بما فيه من المعجزات الدالة على كونه من عند الله تعالى، وعلى حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن محمدًا اختلقه عمدًا من تلقاء نفسه، أرخى الله تعالى لهم العنان، وأضرب عز وجل عما قالوه، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: إن كان الأمر كما تقولون، فأتوا أنتم - أيضًا - بعشر سور مثله في البلاغة وحُسنِ النظم مختلقات من عند أنفسكم - إن صح قولكم: أني اختلقته من عندي - فإنكم أهل العربية وفرسانها، وأقدرُ على ذلك مني، وادعوا من استطعتم دعاءَهُ والاستعانة به - من دون الله - إن كنتم صادقين أني افتريته، فإن لم تفعلوا، فاعلموا أن الذي أنزله هو الله تعالى، واعلموا أيضًا أن لا شريك له في الألوهية، ولا يقدر أحد على ما يقدر هو عليه، فهل أنتم مخلصون في الإسلام أو ثابتون عليه؟

يقول الله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤) »[هود:١٣- ١٤]، ومع ذلك كله، ما ثابوا إلى رشدهم، وما وجدوا ما يتكلمون به، فعادوا لما نُهوا عنه وقالوا: «اختلقه محمد عمدًا». فاستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون، ووصل بهم إلى غاية التبكيت والخذلان، وتحداهم أن يأتوا بسورة مثل القرآن فعجزوا، قال الله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) »[هود:١٣]، ولما بُهت الذين كفروا، ولم يستسلموا، صاروا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، مرة يقولون استهزاء: « وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) »[الأنفال:٣١].

وأخرى يقولون عابثين: «ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ» [يونس:١٥]، وصار أمرهم على ما يقول الله تعالى: « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» [يونس:٣٩]، « بَلْ كَذَّبُوا » بل سارعوا إلى التكذيب، « بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» [يونس:٣٩] بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته، ويحيطوا بالعلم بشأنه، أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علمًا من ذكر البعث والجزاء، وسائر ما يخالف دينهم، « وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» [يونس:٣٩] ولم يقفوا بعد على تأويله، ولم تبلغ أذانهم معانيه أو: ولم يأتهم بعدُ تأويلِ ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب، والمعنى: أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى، ثم إنهم سارعوا بتكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه، ومعنى التوقع في (لما): أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا قواهم في معارضته، فتضاءلت دونها، أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقًا لإخباره مرارًا فلم يُقلعوا عن التكذيب تمردًا وعنادًا « كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» [يونس:٣٩] أنبياءهم « فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» [يونس:٣٩] فيه وعيد لهم بمثل ما عُوقب به من قبلهم». انتهى من تفسير البيضاوي.

فهذا القرآن العظيم ليس ألفاظًا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، كلا وربي، إنه كلام الله تعالى الذي تحدى به الخلق كلهم، فقال عز من قائل: « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) » [الإسراء:٨٨]، فهذا تنويه بشرف القرآن وعظمته.

وهذه الآية ونحوها تسمى آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم أو سورة منه، فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثلا لله في أوصافه، فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله تبارك وتعالى، فتبًا لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمدًا افتراه على الله واختلقه من نفسه». تفسير السعدي.

فعظمة القرآن وعُلو شأنه لا تجعل للخلق من إنس وجن مطمعًا في الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. وللحديث بقية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص المقاصد

الحلقة (٣)

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تحدثنا في العدد السابق عن قاعدة سد الذرائع وعلاقتها بالمقاصد، وبأنها وجه آخر من رعاية مقصود الشارع في حفظ المصالح ودرء المفاسد، وذكرنا بعض الأدلة على حجية قاعدة سد الذرائع، وسنكمل بإذن الله:

الدليل الرابع: قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا» [البقرة: ١٠٤]، فقد نهاهم سبحانه وتعالى عن قول: «راعنا» مع أنهم لا يقصدون بها إلا الخير، وهي من المراعاة، وذلك سدًّا لذريعة مشابهة اليهود في قولهم: «راعنا» من الرعونة، ولئلا يُفتح باب لليهود كي ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولوها يعنون بها سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم متشبهين بالمسلمين في قولها له يريدون بها الخير، فسدت هذه الأبواب كلها بمنع قول هذه الكلمة، واستبدالها بخير منها لا لبس فيها، وهو قولهم: «انظرنا»، عملاً بقاعدة سد الذرائع.

الدليل الخامس: قوله تعالى: «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ» [النور: ٣١].

فحرم على النساء الضرب بالأرجل حتى لا يسمع الرجال صوت خلخالها، مما قد يفضي إلى إثارة شهوات البعض، مع أن ضرب المرأة برجلها في الأصل شيء جائز، لكن لما كان قد يفضي إلى شيء محرم سُدَّ بالنهي عنه، عملاً بقاعدة سد الذرائع.

الدليل السادس: النهي عن بناء المساجد على المقابر، وعن الصلاة فيها: فعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، قالا: لما نُزِلَ برسول الله صلى الله عليه وسلم (تعني الموت) طَفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر مثل ما صنعوا. [متفق عليه].

وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها. [أخرجه مسلم].

والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أمور كثيرة تتعلق بالمقابر - لن آتي بنصوصها وهي ثابتة - ذكرنا منها النهي عن البناء على المساجد وعن الصلاة إليها، ونهى صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والكتابة عليها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيدًا، وعن شد الرحال إليها، وكل ذلك وغيره لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا تُعبَد من دون الله تعالى، فكل ذلك حرام من باب سد الذرائع المفضية للشرك.

والأدلة على قاعدة سد الذرائع كثيرة ومتنوعة،

نذكر منها على سبيل الإجمال: النهي عن البيع بعد أذان الجمعة؛ لئلا يفضي البيع في هذا الوقت إلى تضييع الصلاة، مع أن الأصل في البيع الجواز.

- النهي عن سب والدي الرجل؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى سبّ والديه.

- النهي عن كل الأبواب التي تؤدي إلى إسكار العقل، فقد حرم الله مثل رأس الدبوس من الخمر، لئلا تتخذ ذريعة إلى الحسوة فأكثر فأكثر، وينهى عن إمساكها للتخليل، وعن شرب الخليط (كالزبيب والتمر) وعن شرب نقيع (عصير) التمر وغيره بعد ثلاث، وغير ذلك من باب سد الذرائع.

- النهي عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وعن الصلاة بعد العصر حتى تغرب، فهذه الأوقات كان يسجد فيها طائفة من المشركين للشمس، فنهى عن الصلاة في هذه الأوقات من باب سد الذرائع، مع بُعد هذه الذريعة، فقريش ما كانوا يعبدون الشمس، ويستحيل هذا على الصحابة رضي الله عنهم - المخاطبين ابتداءً بالنص - لكن النبي صلى الله عليه وسلم سدَّ هذه الذريعة البعيدة - فكيف بالذرائع القريبة؟!

- والنهي عن النظر إلى المرأة الأجنبية والخلوة بها، ومصافحتها، وتحريم سفر المرأة بلا محرم، سدًا لما قد يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة.

- والنهي عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يقع في أيديهم فيهينوه، فسد ذريعة إهانة القرآن بتحريم السفر به لأرض العدو.

والأمر بمخالفة اليهود في أمور شتى، كالأمر بالصبغ؛ لأنهم لا يصبغون، والأمر بالصلاة في النعال لأنهم لا يصلون بها، ومخالفتهم في فَرق الشعر، إلى غير ذلك.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بهم، وقال: «من تشبه بقوم فهو منهم» [أبو داود وصححه الألباني]، وكل ذلك لأن المشابهة في الهدي الظاهر ذريعة للمشابهة في القصد والعمل، فمن اتفقت ظواهرهم فإنه غالبًا ما تتفق بواطنهم.

والأدلة على ذلك كثيرة، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تسعة وتسعين وجهًا لقاعدة سد الذرائع في إعلام الموقعين.

- وكثرة الأدلة ترجح قول الجمهور في حجية قاعدة سد الذرائع.

رابعا: أنواع سد الذرائع:

ذكرنا أن الذرائع: هي الوسائل المفضية إلى تعطيل المقاصد وتضييعها، وهذه الوسائل نوعان:

النوع الأول: ذريعة ممنوعة، وهي الوسائل التي يجب سدّها، طبقا لقاعدة سد الذرائع (وهو ما سبق أدلته وأمثلته).

النوع الثاني: ذريعة مشروعة، وهي الوسائل التي يجب فتحها، وهي ما يسمى بفتح الذرائع، أي فتح الطرق والسبل التي تؤدي إلى تحقيق المصالح والمنافع، ومن أمثلتها: إعلان الأذان وسيلة للإعلام بدخول وقت الصلاة، والحث عليها، نشر العلم وسيلة لتعليم الناس أحكام دينهم، ومعرفة سعادتهم في الدنيا والآخرة، تيسير الزواج وتقليل المهور وسيلة إلى التعفف والإحصان. وغير ذلك.

- وهذا التقسيم يعني أن: ما أدّى إلى المشروع فهو مشروع، وما أدّى إلى الممنوع فهو ممنوع، وبعبارة أخرى (الوسائل لها حكم المقاصد).

على أنه غلب أن يستعمل لفظ (الذريعة) في الوسيلة المفضية إلى المفسدة، ومن هذا جاء أصل (سد الذرائع).

خامسًا: مذهب المالكية وسد الذرائع:

مع أن جمهور العلماء على القول بحُجية سد الذرائع، إلا أن المذهب المالكي يهتم بسد الذرائع اهتمامًا بالغًا، فليس في المذاهب الفقهية الأربعة المنتشرة، ولا في غيرها من بلغ أخذه بهذا الأصل مبلغ المذهب المالكي، ولهذا كان العمل بالمصلحة المرسلة أصلاً مستقلاً من أصول التشريع عنده، وليس سد الذرائع إلا تطبيقا عمليًا من تطبيقات العمل بالمصلحة، ولذلك عدُّوه ضمن أصولهم وأعملوه في استنباطاتهم وتخريجاتهم، في جميع أبواب الفقه، وفي كثير من المسائل العملية، وبالغوا في ذلك حتى عد بعض الفقهاء سد الذرائع من خصوصيات مذهب إمام دار الهجرة.

ولعل أكثر الأبواب الفقهية التي حكم فيها مالك والمالكية بسد الذرائع، هي أبواب البيوع، والعقوبات، والمناكحات.

- ففي مجال البيوع: يبطل المالكية - ومعهم الحنابلة - البيوع التي يظهر فيها القصد الفاسد المخالف لقصد الشارع: كبيع العينة فإنه يفضي إلى مفسدة الربا، وكبيع العنب لعاصر الخمر، وبيع السلاح لأعداء المسلمين أو لأهل الفتنة، وبيع أرض لتتخذ كنيسة، لما تجره هذه البيوع من مفاسد وأضرار ظاهرة.

أما الحنفية والشافعية، ففرقوا بين صحة العقد وفساد القصد، فالعقد عندهم صحيح ما دام مستوفيًا لشروطه الظاهرة، وأما القصد فأمره إلى الله تعالى.

ومن أمثلة العينة: أن يبيع أحدهم سلعة بعشرة مؤجلة، ثم يشتريها بخمسة معجلة. قال القاضي أبو بكر بن العربي - بعد أن أيدَّ تحريم هذا البيع - فإن قيل: وإنما حرمت هذا خوفا من القصد، وأنت لم تعلم قصده، قلنا: هذه نكتة المسألة وسرها الأعظم، وذلك أنه لما كان هذا أمرًا مخوفًا، حسم الباب فيه، ومنع من صورته، لتعذر الوقوف على القصد فيه، والشريعة إذا علقت الأحكام بالأسباب الباطنة، أقامت الظاهر مقامها، كالمشقة في السفر التي علقت عليها الرخص، فلما لم تنضبط، علقت على صورة السفر. [عارضة الأحوذي ٢٠١/٥].

وأما في باب المناكح:

فقد حكم المالكية سد الذرائع، في أحكام كثيرة: فمنعوا نكاح المريض مرض الموت، ومنعوا التوارث به

إذا وقع، وعكس ذلك يورثون المطلقة فيه ولو بانت، وقد روى الإمام مالك في باب طلاق المريض من موطئه آثارًا عن عثمان وعلي - رضي الله عنهما - في توريث المطلقة ثلاثًا في مرض الموت، ثم قال: «قال مالك: وإن طلقها وهو مريض قبل أن يدخل بها، فلها نصف الصداق ولها الميراث، ولا عدة عليها، وإن دخل بها ثم طلقها، فلها المهر كله، والميراث، البكر والثيب في هذا عندنا سواء». [الموطأ ٢/٥٧٣].

وهذه الوجهة في الاجتهاد عند مالك، وعند أهل المدينة، والصحابة قبلهم، إنما مستندها سد (الذريعة) ومنع الإضرار بالزوجة، أي رعاية مصلحتها وحقها.

ومن سد الذرائع في النكاح: أن المالكية، واعتمادًا على اجتهاد عمر رضي الله عنه، يحرّمون تحريمًا مؤبدًا الزواج بين الرجل والمرأة إذا تزوجها وهي مازالت في العدة، فإن كان قد دخل بها وحصل منه استمتاع، والعدة لم تفرغ، فالتحريم المتأبد حاصل من غير اقتصار على حكم حاكم به، لنص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك.

وهو المشهور والمعمول به في مذهب مالك، وإن لم يكن منه دخول ولا استمتاع إلا بعد فراغ العدة، ولم يقع في العدة إلا العقد خاصة، فهو موضع احتمال في كلام عمر.

واختلف قول مالك فيه على روايتين مشهورتين. [المعيار للونشريسي ٢/١٩٩- ٢٠٠]، وقد افتى عدد من فقهاء المذهب، فيمن هرب بامرأة وأقام معها على الزنا، ثم طلب الزواج بها، أنها تحرم عليه تحريمًا مؤبدًا، قال الشيخ العلمي: «وما ذلك منهم إلا مراعاة للقاعدة الجارية في سد الذرائع، وحسم مادة الفساد، وهي من أصول المذهب المالكي».

- مع أن القول المشهور في المذهب المالكي في هذه المسألة على خلاف هذا، فلا يقول بتأبيد التحريم في حالة الهروب والزنا.

ومع أن الجمهور على القول بحجية سد الذرائع، إلا أن المذهب المالكي يهتم بسد الذرائع اهتمامًا بالغًا، ودللنا على ذلك ببعض الأمثلة في أبواب البيوع، والمناكح.

- وفي باب العقوبات: فإن المذهب المالكي هو أشد المذاهب، وأكثرها توسعًا في الزجر، وفي سد المنافذ على المعتدين والمفسدين، وهذا التشدد في العقوبات إنما يراعي في ذلك مقصودها الأول، وهو الزجر وقطع دابر الفساد والبغي إلى أقصى حد ممكن، وهذا المنحى المالكي يرجع إلى فقه عمر وسياسته وأقضيته، فقد اشتهر عمر رضي الله عنه بتوسعه في الزواجر والتعازير، وبشدته على أهل الفساد والانحراف والظلم.

مثال ذلك النفي في حد الزنا: فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم. [صحيح مسلم].

فجمهور الفقهاء على أن مدة النفي في حد الزنا لغير المحصن سنة كاملة - كما بالحديث - فالمدة حدّ مقدر شرعًا، ولا مجال للاجتهاد فيه، فلا يُزاد ولا ينقص.

لكن قال المالكية: يجوز أن يزيد النفي للزاني غير المحصن على سنة، مع أن التغريب عندهم في الزنا حد، وليس بتعزير كما عند الحنفية، لكنهم - على الراجح عندهم - أن للإمام أن يزيد في التعزير على الحد، مع مراعاة المصلحة غير المشوبة بالهوى. [الموسوعة الفقهية ٤١/١٢٤].

مثال آخر: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يُقاد الوالد بالولد». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

والحديث دليل على أنه لا يُقتل الوالد بالولد، وإلى هذا ذهب الجماهير من الصحابة وغيرهم، قالوا: لأن الأب سببٌ لوجود الولد، فلا يكون الولد سببًا لإعدامه، إذا قتله بأي وجه كان من أوجه العمد.

لكن الإمام مالكا فرّق بين العمد والخطأ، فذهب إلى أن الوالد يُقاد بالولد إذا أضجعه وذبحه؛ لأن ذلك عمد حقيقة لا يحتمل غيره، فإن الظاهر في مثل استعمال الجارح في القتل هو قصد العمد، والعمدية أمر خفي لا يُحكم بإثباتها إلا بما يظهر من قرائن الأحوال، وأما إن كان على غير هذه الصفة فيما يحتمل عدم إزهاق الروح، بل قصد التأديب من الأب، وإن كان في حق غير الأب يُحكم فيه بالعمد، وإنما فرّق بين الأب وغيره؛ لما للأب من الشفقة على ولده، وغلبة قصد التأديب عند فعله ما يُغضب الأب، فيُحمل على عدم قصد القتل. [سبل السلام: ٢/٣٤٠ بتصرف، بداية المجتهد ٤/١٨٣ بتصرف].

بمعنى: إذا قتل الرجل ابنه متعمدًا واعترف بقصد قتله، أو فعل فعلاً من شانه القتل، مثل أن يذبحه أو يشق بطنه، ولا شبهة له في ادعاء الخطأ يُقتل به قصاصًا. [الموسوعة الفقهية: ٢١/٥٥].

وعمدة مالك في ذلك عموم القصاص بين المسلمين، ومراعاة مصلحة حفظ النفس، وحمل الحديث على أنه على غير العمد المحض؛ ولأن عمر رضي الله عنه عندما قذف رجل من بني مُدلج -يقال له قتادة- ابنه بالسيف فأصاب ساقه، فنزف جرحه فمات، فإن عمر لم يقم القصاص عليه، وإنما أخذ الدية منه.

علاقة المذهب المالكي بفقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

الإمام مالك ورث علم علماء المدينة - كما هو معلوم - وبه كان يفتي، وعليه كان يبني، والموطأ خير شاهد على هذا، فهو مليء بمثل هذه العبارات: الأمر المجتمع عليه عندنا، والأمر عندنا، وببلدنا، وهذا أرحب ما سمعت أو أحسن ما سمعت.

ولقد ورث الإمام مالك مذهبه عن التابعين، وهؤلاء ورثوه عن الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن فرحون: وقال ابن أبي أويس، قيل لمالك: قولك في الكتاب: الأمر المجتمع عليه والأمر عندنا وببلدنا، وأدركت أهل العلم، وسمعت بعض أهل العلم.

فقال: أما أكثر ما في الكتاب فرأيٌ، فلعمري ما هو برأي، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين أخذت عنهم، وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى، فكثر عليّ فقلت ذلك رأي، وذلك رأي، إذا كان رأيهم رأي الصحابة الذين أدركوهم عليه، وأدركتهم أنا على ذلك، فهذه وراثة توارثوها قرنًا عن قرن إلى زماننا، وما كان رأيًا فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة، وما كان فيه الأمر المجمع عليه: فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقه والعلم ولم يختلفوا فيه. [الديباج لابن فرحون ص٢٥].

قال حميد بن الأسود: كان إمام الناس عندنا بعد عمر رضي الله عنه: زيد بن ثابت رضي الله عنه وبعده عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال علي بن المديني: وأخذ عن زيد - ممن كان يتبع رأيه، واحد وعشرون رجلاً، ثم صار عنهم هؤلاء إلى ثلاثة: ابن شهاب، وبكير بن عبد الله، وأبي الزناد، وصار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس. [ترتيب المدرك: ٧٧/١].

ونقل العلامة محب الدين الخطيب عن عالم الهند الكبير: ولي الله الدهلوي: أنه كان يرى أن الفقه في عصر الصحابة كان منبعه - أساسًا- مجموعة معينة من الصحابة، وكان إمامهم ومركز حركتهم: عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم أجمعين.

ثم انتقل فقه عمر والصحابة إلى «فقهاء المدينة السبعة» وهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وورث علم هؤلاء تلاميذهم من أمثال: ابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وزيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، ونافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، وربيعة الرأي، وأبي الزناد.

وانتقل علم هؤلاء جميعًا إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي.

فاتفقوا على أن فقه مالك يبدأ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويؤكد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «وكان أهل المدينة فيما يعملون إما أن يكون سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما أن يرجعوا إلى قضايا عمر بن الخطاب، ويقال: إن مالكًا أخذ جل الموطأ عن ربيعة، وربيعة عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن المسيب عن عمر، وعمر مُحَدَّث.. وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر». وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر». وكان عمر يشاور أكابر الصحابة: كعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، وهم أهل الشورى، ولهذا قال الشعبي: انظروا ما قضى به عمر، فإنه كان يشاور.

ومعلوم أن ما كان يقضي أو يُفتي به عمر ويشاور فيه هؤلاء أرجح مما يقضي أو يُفتي به ابن مسعود، أو نحوه، رضي الله عنهم أجمعين، وكان عمر في مسائل الدين والأصول والفروع إنما يتبع ما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم. [الفتاوى: ٣١٢/٢٠-٣١٣].

أضف إلى هذا أن عمر رضي الله عنه كان الحاكم الكبير في سياسة الدولة واقتصادها وحربها وسلمها، فكل هذا وغيره أعطى عمر المرتبة العليا في فقه الدين والدنيا.

فعمر رضي الله عنه هو الحلقة الأولى في المدرسة الفقهية لأهل المدينة، والذي يتصفح الموطأ يدرك بسهولة أن فقه عمر وأقضية عمر وفتاوى عمر وسنة عمر مهيمنة عليه، بعد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ينظر في أصول المذهب المالكي لا يجد أي صعوبة في إدراك أن تلك الأصول، إنما هي أصول «عُمَرية» قبل أن تكون أصولاً «مالكية».

- فالمصالح المرسلة، وسد الذرائع، رائدهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسياسته أحسن تطبيق لهما، وقد كان فقه عمر والصحابة يُسمَّى على عهد مالك رحمه الله (مذهب أهل المدينة)، ثم حل محله شيئًا فشيئًا: اسم «مذهب مالك» ثم «المذهب المالكي».

ولقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فصلاً في أكثر من مائة صفحة للكلام عن مذهب أهل المدينة وأفضليته وأرجحيته أصولاً وفروعًا، وذلك في مجموع الفتاوى (٢٩٤/٢٠ - ٣٩٦).

ومما قال فيه: ثم من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة، وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد. [الفتاوى ٣٢٨/٢٠].

يقول الإمام الغزالي (وهو شافعي): «الصحابة رضي الله عنهم هم قدوة الأمة في القياس، وعلم قطعًا اعتمادهم على المصالح». [المنخول: ٣٥٣].

وهو في هذا يتبع شيخه الجويني في منحى «الاستدلال» من كتابه «البرهان»، حيث سلَّم بحجية الاستدلال المصلحي؛ لأن ذلك من عمل الصحابة، وهو كثير في فقههم وفتاويهم، ومن هنا أخذ به، مشترطًا أن تكون المصلحة شبيهة بما اعتبره الشارع من المصالح.

فالاجتهاد الفقهي يجب أن يكون قائمًا على أساس الاستصلاح، وأن يكون فهم النصوص والاستنباط منها قائمًا على أساس أن مقاصدها: جلب المصالح ودرء المفاسد، وأن يكون القياس عليها، مراعيًا لهذا الأساس أيضًا، وهذا معنى مراعاة المصلحة في المذهب المالكي، فهو ليس الأخذ بالمصلحة المرسلة حيث لا نص ولا قياس، بل هو استحضار لمصلحة عند فهم النص، وعند إجراء القياس فضلاً عن حالات إعمال المصلحة المرسلة.

[انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ٦١/١-٧٨، المهذب في علم أصول الفقه المقارن ١٠١٦/٣- ١٠٢٠، تيسير علم أصول الفقه ٢٠٣/١- ٢٠٦، معالم أصول الفقه ٢٤١/١، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ٦٧٧/١، علم المقاصد الشرعية ٢٤/١، تنقيح الأفهام العملية ٥٣/٢].

والحمد لله رب العالمين.

التأمين التجاري والتأمين التعاوني

التأمين وإعادة التأمين

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

التأمين في اللغة:

التأمين من مادة (أمن)، وتحت المادة جاء في لسان العرب: الأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم، فأما آمنته – المتعدي – فهو ضد أخفته.

وجاء في القاموس المحيط: الأمن والآمن كصاحب ضد الخوف، أمن كفرح أمنًا وأمانًا.

والأمن ككتف المستجير ليأمن على نفسه، والأمانة ضد الخيانة، وقد أمنه كسمع، وأمنه تأمينًا وائتمنه واستأمنه.

وفي أساس البلاغة بعد أن بيّن الزمخشري المعنى اللغوي، قال: ومن المجاز: فرس أمين القوى، وناقة أمون: قوية مأمون فتورها، جعل الأمن لها وهو لصاحبها، وأعطيت فلانًا من آمن مالي: أي من أعزه عليَّ وأنفسه؛ لأنه إذا عز عليه لم يعقره؛ فهو في أمن منه.

التأمين والأمن في الكتاب والسنة:

لم تأت كلمة تأمين في القرآن الكريم، أما الكلمات المأخوذة من مادة (أمن) فقد وردت في القرآن أكثر من ألف مرة، معظمها في موضوع الإيمان، ومنها ما جاء في موضوع الأمن، كقوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا» [البقرة:١٢٥]، أي جعلنا المسجد الحرام ملاذًا للخلق، ومأمنًا لكل من يلجأ إليه.

ونلاحظ أن القرآن الكريم بيّن الأمن والإيمان، وذلك في الآيات الكريمة، كقوله عز وجل: «ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ» [آل عمران:١٥٤]، أي ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغم نعمة أمن، وكان مظهرها نعاسًا يغشى فريق الصادقين في إيمانهم.

وقوله تعالى: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ» [الأنفال:١١].

وقوله تعالى: «وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» [الأنعام:٨١ – ٨٢].

وقوله سبحانه وتعالى: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» [النور:٥٥].

وإذا كان الخوف ضد الأمن، فإن القرآن الكريم بين في مواضع كثيرة أن المؤمنين لا خوف عليهم.

هذا في القرآن الكريم، أما السنة المشرفة فقد ورد فيها كلمة «تأمين» ولكن ليس بمعناها في الاقتصاد، وإنما بمعنى تأمين في الصلاة بعد الفاتحة، أي: اللهم استجب.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه». [البخاري: كتاب الأذان].

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث الشريف: التأمين مصدر أمَّن بالتشديد، أي قال: آمين، ومعناها: اللهم استجب.

والحديث عن الأمن، وربطه بالإيمان ورد في السنة المشرفة كثيرًا، ويلحظ هذا من يراجع المادة في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

تعريف عقد التأمين:

ضمن عقود الغرر تجد عقد التأمين، وجاء تعريفه في المادة (٧٤٧) من القانون المدني المصري، ونص المادة هو ما يأتي:

«التأمين عقد يلتزم المؤمِّن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمَّن له أو إلى المستفيد، الذي اشترط التأمين لصالحه، مبلغًا من المال، أو إيراد مرتب، أو أي عوض مالي آخر،

في حالة وقوع الحادث، أو تحقيق الخطر المبين بالعقد، وذلك في نظير قسط، أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن».

أركان عقد التأمين:

من هذا التعريف يتبين أن أركان عقد التأمين هي: مبلغ التأمين، والخطر، وقسط التأمين.

مبلغ التأمين:

ذكر القانون ثلاثة أشياء يجوز أن تلتزم بأي منها شركة التأمين، وهي مبلغ المال، أو إيراد مرتب، أو أي عوض مالي آخر، والذي يمكن أن يكون معلومًا هو المبلغ من المال، أما العوض المالي الآخر فقد يكون معلومًا وقد يكون غير معلوم، والإيراد المرتب فيه غرر فاحش، بل مقامرة، ومثل هذا ممنوع شرعًا جائز قانونًا.

تحدث الدكتور عبد الرازق السنهوري عن المقامرة فقال: يكون باطلاً كل اتفاق خاص بمقامرة أو رهان، لمخالفته للآداب، ويستثنى من ذلك الرهان الذي يعقده فيها بينهم المتبارون شخصيًا في الألعاب الرياضية، وما رُخص فيه قانونًا من أوراق النصيب.

وتحت العقود المسماة من القانون المدني يتناول الباب الرابع عقود الغرر، ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المقامرة والرهان.

والفصل الثاني: المرتب مدى الحياة.

والفصل الثالث: عقد التأمين.

وفي الفصل الأول: المادة ٧٣٩، وفيها: «يكون باطلاً كل اتفاق خاص بمقامرة أو رهان».

والمادة ٧٤٠، فيها الاستثناء الذي ذكره الدكتور السنهوري.

وفي الفصل الثاني: المادة ٧٤١، وفيها: «يجوز للشخص أن يلتزم أن يؤدي إلى شخص آخر مرتبًا دوريًا مدى الحياة بعوض أو بغير عوض».

ومن المعلوم كما جاء في نص عقد التأمين أن الالتزام بعوض.

والمادة ٧٤٢، فيها: «يجوز أن يكون المرتب مقررًا مدى حياة الملتزم له، أو مدى حياة الملتزم، أو مدى حياة شخص آخر».

والقمار هنا واضح جلي؛ حيث لا يدري من البشر متى تنتهي حياة أي من هؤلاء المشار إليهم.

والمادة ٤٧٤ في الفصل الثالث هي الأول في عقد التأمين.

ومثل هذا القمار والغرر نراه في عقود معاوضة أخرى في القانون: ففي البيع يصح أن يكون الثمن إيرادًا مؤبدًا أو مدى الحياة.

قال الدكتور السنهوري: «يصح أن يتفق البائع والمشتري على أن يكون الثمن مقدارًا معينًا من النقود، وأن يتفقا في الوقت ذاته وفي نفس عقد البيع على تحويل هذا المقدار إلى إيراد مؤبد، أو إلى إيراد مرتب للبائع مدى حياته.

كما يصح أن يتفق البائع والمشتري على أن يكون الثمن رأسًا إيرادًا مؤبدًا، أو إيرادًا مرتبًا مدى حياة البائع، ففي الحالين لا يكون الإيراد المؤبد أو الإيراد المرتب مدى الحياة عقدًا مستقلاً، وإنما يكون ركنًا في عقد البيع هو الثمن». [الوسيط: ٣٦٦/٤].

والباب الأول من العقود المسماة يتناول العقود التي تقع على الملكية، والفصل الخامس منه يتحدث عن القرض والدخل الدائم.

والمادة ٥٤٨ من الدخل الدائم تنص على ما يأتي:

١- إذا رتب الدخل مقابل مبلغ من النقود، تم الاستبدال برد المبلغ بتمامه، أو برد مبلغ أقل منه إذا اتفق على ذلك.

٢- وفي الحالات الأخرى يتم الاستبدال بدفع مبلغ من النقود تكون فائدته محسوبة بالسعر القانوني مساوية للدخل.

ومبلغ التأمين الذي تلتزم به الشركة يراعى فيه الأضرار الناجمة عن الخطر المؤمن عليه، فعقد التأمين عقد معاوضة مالية كما رأينا من قبل، فهو كالبيع، ومبلغ التأمين كالثمن، والمعلوم في عقد المعاوضات أنها لا تصح مع الغرر الفاحش، وهو واضح هنا تمامًا.

الخطر:

إذا كنا رأينا الغرر الفاحش في مبلغ التأمين، وأن هذا المبلغ هو التأمين، فهل سلم العوض هنا - وهو الخطر - من القمار والغرر الفاحش؟ لا، بل الغرر هنا أشد فحشًا، والمقامرة أكثر وضوحًا.

فالخطر هو «الركن الجوهري في عقد التأمين، وهو أمر غيبي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ويقول شراح القانون المدني: يشترط في الخطر أن يكون غير محقق الوقوع، وفي صورة وحيدة لعقد التأمين يكون الخطر فيها محقق الوقوع، وهو التأمين على الحياة إذا بقي حيًا بعد مدة معينة، وكما هو ظاهر فإن ذلك غير محقق الوقوع، فمن يضمن لنفسه البقاء ساعة واحدة؟ وسبحان الدائم الباقي، وسبحان الحي الذي لا يموت».

قسط التأمين:

هذا القسط هو المبلغ المالي الذي يدفعه المستأمن للشركة مقابل التعويض عن الخطر، ومع أن المستأمن هو الذي يتحمل المبلغ فلا دخل له في تقديره، ولا حق له في الاعتراض على تحديده؛ حيث إن الشركة هي التي تقدره بحسب ما تراه تبعًا للخطر بحسب تقديرها هي أيضًا، فالعقد إذن عقد إذعان وإن كان من عقود التراضي.

وللحديث بقية إن شاء الله.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الحلقة السابعة

إعداد / المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُعبد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، وبعدُ:

فقد تحدثنا في الحلقات السابقة عن الشبهات المثارة على حد الزنا، وفي هذا العدد نتحدث عن الشبهات المثارة حول حد الرجم:

الشبهة الأولى: أن الرجم كعقوبة للزاني لا وجود له في القرآن الكريم

ويرد عليها بالآتي:

١- قال الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» [الحشر: ٧]، والرجم مما أتانا به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا ما طبقناه فقد عملنا بالقرآن.

٢- ثبت الرجم بكتاب الله، فقد أخرج البخاري ومسلم بسند متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال: إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل الله آية الرجم، وهي: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم». قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله - وقد وقع ما يخشى منه الفاروق عمر - فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحَبل والاعتراف.

الشبهة الثانية منهجية تنقيح الأحاديث بعرضها على كتاب الله تطبيقًا لحديث: «ما جاءكم عني فاعرضوه أولاً على كتاب الله».

والرد عليه من وجوه:

أولاً: مَنْ مِنْ علماء الحديث عمل بهذه المنهجية؟! ثم من حكى الإجماع عليها؟! ثم أليس من التناقض أن يُتمسك بالإجماع في هذه المسألة وهو ما لم يوجد، ويُترك الإجماع على وجوب الرجم، وقد حُكي عن السلف والخلف؟!

ثانيًا: تمسك بعضهم بحديث: «ما جاءكم عني فاعرضوه أولاً على كتاب الله». وهو حديث باطل لا أصل له، فقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: «هذا حديث وضعته

الزنادقة». وقال الخطابي: «وضعته الزنادقة». وقال الصاغاني: «هو موضوع».

ثانيًا: لو استبعدنا ما ليس له أصل في القرآن الكريم لاستبعدنا أحكامًا عدة أتت بها السنة، ولم يأت بها القرآن، ففرض الجدة، وحرمة الذهب والحرير للرجال، واستحباب السواك، وكراهة دخول المسجد لمن أكل الثوم أو البصل، وإباحة أكل الضبّ كلها أتت في السنة، ولم تأت بالقرآن، ومن ثم فهذه الدعوة ما أريد بها إلا هدم بنيان الإسلام وتقويض دعائمه.

بل إن صفة الصلاة وعدد ركعاتها وأركانها وسننها، والنوافل القبلية والبعدية والأذان والإقامة، وأيضًا الزكاة ومقاديرها ونصابها، وزكاة الإبل، وزكاة البقر وزكاة الغنم والزروع وغيرها، والصيام الذي يعد من النوافل، وصفة الحج وواجباته، وسننه ومحظورات الإحرام، وغير ذلك كله لم نعلمه إلا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو عرضناه على حكم القرآن ما وجدناه، اللهم إلا أن نطيع النبي صلى الله عليه وسلم ونقبل كل ما جاءت به السنة، كما أمر القرآن: « وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ » [الحشر:٧].

الشبهة الثالثة: شبهة تسرّب التحريف إلى الصحيحين ووجوب إعادة تنقيحهما.

ويرد عليها بالآتي:

أولاً: أنها مبنية على حديث باطل وما بُني على باطل فهو باطل مثله.

ثانيًا: هذه دعوى خبيثة للطعن في أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل صحيحي البخاري ومسلم، فقد أجمعت الأمة على صحة ما جاء بهما من أخبار، فقد ذكر أبو إسحاق الإسفراييني في كتابه أصول الفقه أن «أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال». اهـ.

وقال إمام الحرمين الجويني: «لو حلف إنسان بطلاق امرأته: أن ما في الصحيحين مما حُكم بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمتهُ الطلاق؛ لإجماع المسلمين على صحته». اهـ.

وقال ابن الصلاح: «أهل الحديث كثيرًا ما يطلقون على ما أخرجه البخاري ومسلم جميعًا حكم متفق عليه».

ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم لا اتفاق الأمة عليه، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاقهم على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول. اهـ.

الشبهة الرابعة قال بعضهم: لو أنَّ قاضيًا حكم بعقوبة على متزوج زانٍ وأراد أن يحكم عليه بعقوبة الرجم استنادًا إلى ما في كتب السنة، فدفع بأن الآية: « ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ » [النور:٢] لم تفرق بين متزوج وأعزب في العقوبة، فأي المصدرين يرجح؟ يقصد القرآن أم السنة؟

ويرد عليه بالآتي:

أولاً: بأن القرآن والسنة فرَّقا بين المتزوج والعزَب في العقوبة كما ذكرنا.

ثانيًا: نقول لهؤلاء: لو صلى رجل الظهر ثلاث ركعات والعصر أربعًا، ثم قال: القرآن الكريم لم يفرق بينهما فأي المصدرين ترجح؟! فكما أن السنة فرّقت بينهما - أي الصلاتين - فقد فرقت في العقوبة بين المتزوج والعزب، فقد أخرج مسلم عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني، خذوا عني، فقد جعل الله لهن سبيلاً؛ البكر بالبكر، جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (مسلم).

الشبهة الخامسة قوله تعالى: « فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ » [النساء:٢٥]، فالرجم بطبيعة الحال لا يقبل التنصيف.

ويرد عليه بالآتي:

أن الإحصان يأتي بمعنى الزواج، ومنه قوله تعالى: « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ » [النساء:٢٣] أي: المتزوجات، فيحرم الزواج بهن إلا بعد

انفصام عرى الزواج بالطلاق أو الوفاة، ويأتي بمعنى العفة، ومنه قوله تعالى: «ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ» [المائدة:٥] أي: أحل لكم نكاح الحرائر العفيفات من النساء المؤمنات ومن الذين أوتوا الكتاب، ومن ثَم لم يكن معنى قوله تعالى: «فَإِذَآ أُحۡصِنَّ» [النساء:٢٥] أي الإماء بالزواج أو الإسلام - على رأيين - فعليهن نصف ما على الحرائر العفيفات من المؤمنات من العذاب، وليس المقصود نصف ما على المتزوجات.

قال الشافعي رحمه الله: الألف واللام في المحصنات للعهد، وهن المحصنات المذكورات في أول الآية، «وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ» والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض لتزويج وغيره، وقوله: «نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ» [النساء:٢٥] يدل على أن المراد من العذاب الذي يمكن تبعيضه وهو الجلد لا الرجم. والله أعلم. اهـ. [تفسير ابن كثير ١/٩٨٤].

فلقلة علم هؤلاء باللغة ومعانيها التبس عليهم الأمر: «وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ» [النساء:٣٨].

الشبهة السادسة : أن كل روايات الرجم من أحاديث الآحاد، وهي ظنية الثبوت، أي أن ورود الخطأ بها جائز.

ويرد عليها

بأن الرجم قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله في أخبار تشبه المتواتر، كما أن الرجم أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أنزله الله في كتابه، وإنما نُسخ رسمه دون حكمه - أي نُسخ قراءة وبقي حكمًا - وقال ابن قدامة في «المغني»: في وجوب الرجم على الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأة، وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار ولا نعلم فيه مخالفًا إلا الخوارج. اهـ.

الشبهة السابعة :عدم استقلال النبي صلى الله عليه وسلم بالتشريع.

ويرد عليها

بأن جمهور الأصوليين قد اتفقوا على جواز استقلال السنة بالتشريع، وما ذاك إلا لأن السنة في معناها من عند الله: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤» [النجم:٣- ٤]، وفي مبناها - أي لفظها - من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن والسنة كلاهما من عند الله، غير أن القرآن من عند الله في لفظه ومعناه، والسنة معناها من عنده سبحانه ولفظها من عند نبيه صلى الله عليه وسلم، كما أن الأحكام التكليفية والوضعية وردت في سنته صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا ومنها ما لم يرد في كتاب الله، وليس أدل على الجواز من وقوعها فعلاً.

الشبهة الثامنة: أن الرجم غير مجمع عليه، فالشيعة لا تعترف به.

ويرد عليه

بأن الشيعة لا تعترف بإجماع علماء المسلمين، وإنما الإجماع عندهم هو إجماع أئمتهم فقط، ومن ثم فلا يُعتد بمخالفتهم، فوجوده كعدمه.

الشبهة التاسعة: أن عقوبة الرجم تتنافى مع قواعد العدالة، فلماذا لا يتم معاملة المطلق والأرمل معاملة العزب، ولماذا لا يطبق الرجم على ذي العقد الباطل في حالة زناهما؟

ويرد عليها بالآتي:

قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: ثم إن للزاني حالتين؛ إحداهما: أن يكون محصنًا قد تزوج، فعلم ما يقع به العفاف عن الفروج المحرمة، واستغنى به عنها، وأحرز نفسه عن التعرض لحد الزنى، فزال عذره من جميع الوجوه في تخطي ذلك إلى مواقعة الحرام.

والثانية: أن يكون بكرًا، لم يعلم ما علمه المحصن، ولا عمل ما عمله، فحصل له من العذر بعض ما أوجب له التخفيف فحقن دمه، وزجر بإيلام جميع بدنه بأعلى أنواع الجلد ردعًا عن المعاودة للاستمتاع بالحرام، وبعثًا له على القنع بما رزقه الله من الحلال، وهذا في غاية الحكمة والمصلحة جامع للتخفيف في موضعه والتغليظ في موضعه. اهـ.

وأما صاحب العقد الباطل فمسألة تطبيق الحد في حقه مسألة خلافية، والذين قالوا بعدم التطبيق استدلوا بحديث: «ادرأوا الحدود بالشبهات»، والذي استدل به صاحب الشبهة،

فكيف يتركه هنا ويأخذه هناك؟!

الشبهة العاشرة: قالوا: إن العذاب الوارد في آية اللعان «وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ» [النور:٨] ليس الرجم، وإنما يحمل على الجلد الوارد في أول سورة النور؛ لأن العذاب يختلف عن الموت، فقال أحدهم: «والرجل إذا عجز عن إثبات حالة التلبس بالزنا على زوجته، ولم يستطع إحضار الشهود، فيمكن أن يشهد بنفسه أنها زانية أربع مرات، ويؤكد شهادته الخامسة بأن يستجلب لعنة الله عليه إن كان كاذبًا، وتلك حالة اللعان، ويمكن لزوجة المتهم أن تدفع عن نفسها وقوع حد الزنا بأن تشهد أربع شهادات بالله بأن زوجها كاذب في اتهامها، ثم تؤكد في شهادتها الخامسة بأن تستجلب غضب الله عليها إن كان زوجها صادقًا في اتهامه إياها، يقول تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)» [النور: ٦ - ٩].

ونلاحظ أن الله تعالى ذكر الكلمة السابقة «العذاب» حيث قال: «وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ» [النور:٨]، ولم يقل: «ويدرأ عنها الموت» مع أنه في آية أخرى ذكر نفس الفعل «درأ» مع الموت، وهو قوله تعالى: «قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)» [آل عمران:١٦٨].

والسؤال: ما هو العذاب المذكور هنا؟ إنه نفس العذاب المذكور في بداية سورة النور: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)» [النور:٢] أي: عذاب الجلد مائة جلدة.

الرد على هذه الشبهة

أن «العذاب» في القرآن جاء على تسعة أوجه:

أولها: العقوبة في الآخرة، وهذا الوجه هو الأكثر استعمالاً في القرآن والأغلب، منه قوله تعالى في وصف جهنم: «إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)» [الفرقان:٦٥] أي: إن عقوبتها، وقوله سبحانه: «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ» [الرعد:٣٤] أي: عقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا.

ثانيها: العقوبة في الدنيا، ومنه قوله تعالى: «أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ» [الأنعام:٦٥] كما فعل بقوم لوط، حيث قلب عليهم القرية التي كانوا يسكنون فيها، وجعل عاليها سافلها؛ وقوله تعالى: «أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» [الأنعام:٦٥]، كما فعل بقارون، حيث خسف به وبداره الأرض.

ثالثها: حد الزنى، ومنه قوله تعالى: «وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)» [النور:٢]. يعني: حدهما؛ وكذلك قوله سبحانه: «وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ» [النور:٨] أي: الحد.

رابعها: المسخ، ومنه قوله تعالى: «وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ» [الأعراف:١٦٥] أي: مسخناهم.

خامسها: الاستئصال والقتل، ومنه قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ» [الأنفال:٣٣] أي: عذاب القتل المهين بايدي المسلمين يوم بدر؛ ونحوه قوله سبحانه: «وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا» [الحشر:٣] يعني: لقتلوا بالسيف.

سادسها: الجوع والمجاعة، ومنه قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ» [المؤمنون:٦٤] أي: ابتليناهم في الدنيا بالجوع، والقحط، ونحوه قوله سبحانه: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ» [المؤمنون:٧٦] أي: بالجوع.

سابعها: سلب المال وإهلاكه، ومنه قوله تعالى في أصحاب البستان الذين منعوا زكاة محصوله ونتاجه: «كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ» [القلم:٣٣].

ثامنها: نتف الريش وقص الجناح، وهو قوله تعالى في هدهد سليمان عليه السلام: «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا» [النمل:٢١] أي: لأنتفن ريشه. روى ذلك الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة.

تاسعها: جاء العذاب بمعنى عذاب القبر، ومنه قوله تعالى: «وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ» [السجدة:٢١] أي: عذاب القبر.

فقد جاء العذاب بمعنى الاستئصال والقتل، ومن ثم فيحمل العذاب الوارد بآية اللعان عليه؛ وذلك لورود الأحاديث الدالة عليه، وعليه يتضح الجهل الفاضح لصاحب هذه الشبهة والتدليس الذي حاول أن يدلس به على المسلمين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

التحذير من الفُرقة والتنازع

قال تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)» [الأنفال: ٤٦- ٤٧].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون» [متفق عليه].

حكم ومواعظ

عن سفيان، قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتًا وأصحابه يتحدثون، فقالوا: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرًا في أهل الجنة، كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى. [التخويف من النار].

من أقوال السلف

عن أحمد بن حنبل قال: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أصحابه، ثم هو من بعد التابعين مخيّر.

وعن الأوزاعي قال: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول. [كتاب الشريعة للآجري].

تأويلات فاسدة

قالوا في قوله تعالى: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» [الفجر: ٢٢]. قالوا: أي وجاء أمر ربك بالحساب والملك، فيعطلون بهذا التأويل الفاسد إتيانه ومجيئه سبحانه وتعالى، خلافًا لعقيدة أهل السنة الذين يثبتون صفة المجيء والإتيان لله عز وجل بدون تشبيه أو تأويل أو تعطيل أو تكييف، لقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)» [الشورى: ١١].

من هدي رسول الله

تقديم المصلحة العامة

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». [صحيح مسلم ٦٧٠٦].

إعداد: علاء خضر

من فضائل الصحابة

الاقتداء بهم وقبول أخبارهم

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه» [صحيح الجامع ١١٤٣].

من سير حكام المسلمين

قال ابن عبد البر: روينا عن الحسن البصري أنه قال: ما ورد علينا قط كتاب عمر بن عبد العزيز إلا بإحياء سنة، أو إماتة بدعة، أو ردّ مظلمة. فهؤلاء هم الأئمة الذين هم لله في الأرض حجة. [الاستذكار].

من دلائل نبوته وصفه بيت المقدس

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» [أحمد ١٥٠٧٦ والبيهقي والترمذي وصححه الألباني].

نصيحة عاجلة..!

الآن وقد انتخب الشعب التيار الإسلامي بجميع طوائفه، ووثق فيهم، وعلّق عليهم الآمال والطموحات، فينبغي للإسلاميين -مع اختلاف مسمياتهم- أن يجتمعوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع السلف الصالح، وأن يتركوا التحزب لقول فلان أو علان، ويرجعوا في الخلافات إلي علماء السنة المعروفين بالعلم والفقه؛ حتى لا يزداد تفرقنا وتتشتت جهودنا، مما يخدم أعداء الإسلام، ويحدث ما لا يحمد عقباه.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين والناصح المبين، ورحمة الله للعالمين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، الذين آمنوا به، وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه؛ أولئك هم المفلحون، أما بعد:

فإن الله تعالى جعل من شروط الإيمان به سبحانه الإيمانَ والتصديق برسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلا يُقبل إسلام العبد، إلا بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفرض الله عز وجل علينا طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وجعل الله له حقوقًا على عباده، لا يشاركه فيها أحد، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

ولنبيه صلى الله عليه وسلم حقوقًا على أمته لا يساويه فيها أحد من الخلق.

قال ابن القيم رحمه الله:

لله حق ليس لعبده
ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقا واحدًا
من غير تمييز ولا فرقان

وإيمان المسلم لا يكون إلا بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، ومهما سردنا من موجبات محبته وعظمته صلى الله عليه وسلم فلن نوفيه حقه.

ومن حقه علينا صلى الله عليه وسلم اجتناب ما نهى عنه وزجر، وطاعته في كل ما أمر به.

وأوجب الله علينا تصديق نبيه في كل ما أخبر به عن الله.

وقبل حديثنا عن الأدب معه صلى الله عليه وسلم؛ سوف يتضمن الحديث النقاط التالية:

أولا: الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم:

١- دعوة الناس إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، والخضوع لحكمه سبحانه هي القضية الأولى التي من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين، وأمرهم أن يدعوا إليها في كل زمان ومكان.

ولقد بيّن الله تعالى أن كل رسول بعثه الله تعالى كان يأمر قومه بتوحيد الله سبحانه: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾» [الأنبياء:٢٥].

ولقد اقتضت حكمته سبحانه أن يجعل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن تكون رسالته عامة للناس جميعًا، وشريعته ناسخة للشرائع التي سبقته، ومعجزته الكبرى القرآن الكريم مصدقا للكتب المنزلة السابقة، ومهيمنا عليها، ودعوته موافقة في جوهرها لما دعا إليه الأنبياء السابقون.

وبمقتضى هذه المميزات التي منحها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم دون غيره من الرسل أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء لئن بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وأدركه ليؤمنن به ولينصرنه، قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾» [آل عمران: ٨١- ٨٢].

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء: انه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق.

وقال كذلك رحمه الله: يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من ولد آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لَمَهْمَا آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع ونصرة من بُعث بعده، قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بَعَثَ محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وقال طاووس والحسن البصري، وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا. اهـ تفسير ابن كثير سورة آل عمران (٢/٦٧).

وفي هذه الآية من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وعظيم قدره ما لا يخفى، لهذا أظهر الله ذلك في الآخرة؛ حيث يكون جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به صلى الله عليه وسلم ونصرته. ولذا لو وُجد صلى الله عليه وسلم في أي عصر، لكان هو الواجب الطاعة، المقدم على الأنبياء كلهم.

وصدق من قال:

سبقت نبوتُهُ وآدمُ طينة
فله الفخارُ على جميع الناسِ
سبحان من خصَّ النبي محمدًا
بفضائل تُتلى بغير قياس

روى الطبراني بسند حسن في معجمه الكبير عن أبي مريم قال: أقبل أعرابي حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده خلق من الناس، فقال: ألا تعطيني شيئًا أتعلمه وأحمله، وينفعني ولا يضرك، فقال الناس: مه! اجلس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوه، فإنما يسأل الرجل ليتعلم، فافرجوا له حتى جلس»، فقال: أي شيء كان أول نبوتك؟ قال: «أخذ الله الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم»، ثم تلا: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾» [الأحزاب:٧]، وبشرى عيسى ابن مريم، ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام. فقال الأعرابي: هاه، وأدنى منه رأسه وكان في سمعه شيء. [الطبراني ١٨٦٨٧ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٢٢٤].

وللحديث شاهد آخر أخرجه الإمام أحمد بسند حسن، والحاكم وابن حبان، واللفظ له، وصححاه، وغيرهم من حديث العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام». وفي رواية للحاكم: «إني عبد الله وخاتم النبيين» [وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٥٧٥٩].

ودعوة أبي إبراهيم: دعا: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [البقرة:١٢٩].

وبشارة عيسى ابن مريم: «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» [الصف:٦].

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء، ولا تكون النبوة إلا بالشرع المقرر من عند الله تعالى، ولذا لم يقل كنت إنسانًا ولا كنت موجودًا، وهكذا.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير آية البقرة: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ» [البقرة:١٢٩]، قال: والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته صلى الله عليه وسلم وتحكيه في كتبها على أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بُعث وكان أول ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء.

ونلحظ أن الله عز وجل كلما خاطب العرب امتن عليهم ببعثة نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم، ووصفه بالأوصاف نفسها التي حددها أبوهم إبراهيم، قال تعالى: «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾» [البقرة:١٥١].

وقال عز وجل: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾» [الجمعة:٢].

وكذلك الحال فيما قصَّه الله عز وجل من صفته صلى الله عليه وسلم على نبيه وكليمه موسى عليه السلام، وقومه من بني إسرائيل في قوله سبحانه: «وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١٥٧) قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨)» [الأعراف: ١٥٦- ١٥٨].

قال الحافظ ابن كثير: هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة، وهكذا كان حاله صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، وجاء بالتيسير والسماحة، كما ورد فيما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة» [وصححه الألباني في الصحيحة ١٨٢٩].

وروى البخاري: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».

وقد وصف الله تعالى رسوله بأوصاف كريمة، تدعو العاقل المنصف إلى الإيمان به وتعزيره وتوقيره.

الوصف الأول: أنه رسول الله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرا.

الوصف الثاني: أنه نبي أوحى الله إليه بشريعة عامة كاملة باقية إلى يوم الدين.

الوصف الثالث: أنه أمي ما قرأ ولا كتب ولا جلس إلى معلم ولا أخذ علمه عن أحد، ولكن الله تعالى أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل عليه السلام.

وأفاض عليه من لدنه علومًا نافعة ومبادئ توضح ما أنزل عليه من القرآن الكريم.

الوصف الرابع: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١٥٧)» [الأعراف: ١٥٧]

أي: هذا الرسول النبي الأمي من صفاته أن أهل الكتاب يجدون اسمه ونعته مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، ووجود اسمه ونعته في كتبهم من أكبر الدواعي إلى الإيمان به، وتصديقه واتباعه.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا. [البخاري ٤٥٥٨].

قال الحافظ ابن حجر: زاد في رواية كعب: فمولده بمكة، ومُهاجَره طيبة، وملكه بالشام. [فتح الباري: ٨/ ٥٨٦].

وروى أحمد عن أبي صخر العقيلي قال: حدثني رجل من الأعراب فقال: جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعي، قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشيان، فتبعتهم حتى إذا أتوا على رجل من اليهود وقد نشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي». فقال برأسه: هكذا، أي لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. [مسند أحمد ٢٣٥٣٩ وصححه الألباني].

وللحديث بقية، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

القصة في كتاب الله

مؤمن آل فرعون

الحلقة الثانية

« فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ »

[غافر: ٤٤]

إعداد/ عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله المبدئ المعيد، الغفور الودود، الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ:

فنواصل معك أيها الأخ الكريم ذلك الحوار الإيماني الذي بدأناه في اللقاء الماضي، ووقفنا عند مقولة الطغيان التي أعلنها فرعون على قومه: « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ » [غافر: ٢٩]، وهذه العبارة التي قالها فرعون بلسان المقال يقولها كثير من الطغاة في كل زمان ومكان، فمنهم من يقولها صريحة كما قالها فرعون، ومنهم من يقولها بلسان الحال وليس المقال.

وكان لا بد أمام هذه اللهجة المتغطرسة أن يُعلي الرجل المؤمن لهجته ونبرته محذرًا ومهددًا، ومعلنًا إيمانه في صراحة ووضوح، وسنتناول ذلك في الوقفات التالية:

أولاً: قال الله تعالى: « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ » [غافر: ٣٠- ٣٣].

نستطيع تلخيص هذا المقطع من الحوار في النقاط التالية:

١- يذكّر الرجل المؤمن قومَه بمصارع الأمم التي كذَّبت رسلها، وكيف أهلكها الله عن آخرها، وتعددت أنواع الهلاك، منهم من أهلكه الله بالصيحة، ومنهم من أرسل الله عليه حاصبًا، ومنهم من أهلكه الله بالريح، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

٢- أعلن المؤمن إشفاقه على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة، فهذه سنن الله التي لا تحابي أحدًا.

٣- وكما أنه ذكّرهم بالعذاب العاجل في الدنيا يذكرهم كذلك بعذاب الآخرة يوم القيامة، وقد سماه يوم التناد؛ لأن الخلق يومئذ ينادي بعضهم بعضًا، فمن مستشفع، ومن متضرع، ومن مسلِّم ومهنئ،

ومن موبخ، ومن معتذر، ومن مذعن بالطاعة، قال تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» [القصص:٦٢]، «أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ» [فصلت:٤٤]، «وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ» [الأعراف:٤٤]، «وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ» [الأعراف:٥٠]، «يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ» [الإسراء:٧١]، «دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا» [الفرقان:١٣]، «يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ» [القمر:٦]، ومثل ذلك كثير.

يقول صاحب التحرير والتنوير: «ومن بديع البلاغة ذكر هذا الوصف لليوم في هذا المقام؛ ليذكرهم أنه في موقفه بينهم يناديهم بـ «يا قوم» ناصحًا ومريدًا خلاصهم من كل نداء متضرع، وتاهيلهم لكل نداء سار، قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: «وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾» [غافر:٣٢] زاد الرجل المؤمن في الوعظ والتخويف، وأفصح عن إيمانه؛ إما مستسلمًا موطِّنًا نفسه على القتل، أو واثقًا بأنهم لا يقصدونه بسوء، وقد وقاه الله شرهم. اهـ بإيجاز.

٤- وقد نصحهم إلى الأخذ بأسباب النجاة في ذلك اليوم الذي لا عاصم فيه من أمر الله إلا من رحم.

ثانيًا: مع قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾» [غافر: ٣٤-٣٥].

١- «ولقد جاءكم يوسف بالبينات...» الآية يواصل العبد المؤمن تصعيد لهجته مع القوم، فيقول لهم بلهجة المعاتب والمؤنب: لقد سبق أن بعث الله فيكم يوسف عليه السلام بالآيات الواضحات، وما زلتم في شك من ذلك، حتى إنكم بعد موته قلتم: قد استرحنا، ولن يأتي رسول ولا نبي من بعد يوسف، وما زلتم في هذا الشك وهذا الارتياب حتى جاءكم موسى فكذبتموه، وهذا دأبكم، وهذه من علامات الضلال، فمن كان على شاكلتهم لا يصلح أن يكون أهلاً لهداية الله.

٢- قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ» [غافر:٣٥] الآية.

هنا يُطرح تساؤل هل هذا من كلام العبد الصالح مؤمن آل فرعون، أم من تعقيبات القرآن الكريم وتقريراته؟

يحاول ابن عاشور رحمه الله الإجابة على هذا السؤال فيقول: «جَرى أكثر المفسرين على أن هذه الجمل حكاية لبقية كلام المؤمن، وبعضهم جعل بعضها من حكاية كلام المؤمن، وبعضها كلامًا لله تعالى، وسكت بعضهم عن ذلك على بيان المعنى دون تصدٍّ لبيان اتصالها بما قبلها». اهـ.

ثم اختار رحمه الله أن تلك الجمل من تعقيبات القرآن، لكننا لو تاملنا نجد قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ» [غافر:٣٥] إلى قوله: «قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» [غافر:٣٥] الآية، نجدها وصفًا وبيانًا وتوضيحًا لحال من هو مسرف مرتاب، فالكلام متصل، وقائله واحد، وهذا مما يرجِّح قول الجمهور أن الكلام لمؤمن آل فرعون، والله أعلم.

٣- وهكذا نرى الرجل المؤمن قد أخذ في تصعيد لهجته مع قومه، بعد أن لمس منهم الإعراض والعناد، فهو بدأ معهم متلطفًا في القول، مشفقًا عليهم من عذاب الله، ثم موضحًا مصير المعاندين المتكبرين، ثم ماذا؟ هذا ما سنراه في الوقفة بعد التالية.

ثالثًا: قال الله تعالى: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾» [غافر: ٣٦- ٣٧].

١- «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا...»:

هذا من التدليس الواضح والخداع المكشوف، والجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته، فقد توهم فرعون أنه يمكنه أن يرى الله عز وجل، بمجرد صعوده إلى السماء كما توهم ذلك بعض رواد الفضاء في عصرنا الحديث، فالضلال قديمٌ حديثٌ، والله عز وجل ليس كمثله شيء، وقد قضى سبحانه ألا يُرى في الدنيا، وإلا لو كانت رؤيته متاحة في الدنيا لكل راغب فما الفرق إذن بين من يؤمن بالغيب ومن لا يؤمن؟

ثم إن فرعون حاول أن يظهر أمام قومه منصفًا، يفصل في قضية رسالة موسى، ويبين صدق موسى أو كذبه.

٢- ومن هنا جاء النص القرآني يكشف زيف فرعون، وسوء قصده، وعاقبته المنتهية إلى الخسران، فقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾» [غافر:٣٧]، جاء هذا القول الفصل ليختم هذا المشهد، وليبدأ مشهدًا آخر.

رابعًا: « وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾» [غافر: ٣٨- ٤٠].

١- وهكذا أعلنها الرجل المؤمن قوية صريحة، لا يخشى فيها لومة لائم، وهي ترد مقالة فرعون الباطلة: «مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ» [غافر:٢٩]، وهذه مقولة باطلة وضع المؤمن الصادق في مواجهتها كلمة حق: «يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ» [غافر:٣٨]. هذه حقيقة قوية، فالذي آمن نعم يدلهم على طريق الرشد الذي هو ضد الغي، وهذا لا يكون إلا بالإيمان بالله ورسله.

٢- ما أعظم الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، فهذا الرجل المؤمن يكاد يكون هو المؤمن الوحيد في بلاط فرعون، فكانت له حظوة ومكانة عند فرعون وقومه، ولك أن تتخيل ماذا ينتظره بعد هذا الإعلان الذي فاجأ به الجميع، وهو يعلم جيدًا أن مصيره في أقل الأحوال السجن إن لم يكن القتل، فلم تغره الرغبة ولم تثنه الرهبة عن كلمة حق يقولها في الوقت المناسب والمكان المناسب، ألا ما أعظم هذا الإيمان! وأعظم بهذا المؤمن الصادق الذي صدع بالحق في وجه الباطل وأهله!!

وقوله: «يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ» [غافر:٣٨] إجمال تبعه تفصيل. قال ابن القيم رحمه الله: «ألا ترى كيف قال: «أهدكم سبيل الرشاد» فلم يبين أي سبيل هو، ثم فسَّر ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شأنها؛ لأن الإخلاد إليها أصل الشر كله، ثم ثنى بعد ذلك بتعظيم الآخرة، وبيان حقيقتها وأنها هي الوطن الذي فيه المستقر، ثم ثلَّث بذكر الأعمال سيئها وحسنها، وعاقبة كل منها؛ ليثبط عن الفانية، وينشط للباقية، فكأنه قال: سبيل الرشاد هو الإعراض عن الإسراف في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والامتناع عن سيئ الأعمال؛ خوف المعاقبة عليها، والمسارعة إلى الأعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها». اهـ.

خامسًا: قال الله تعالى عن المؤمن: «وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾» [غافر: ٤١- ٤٦].

وقفتنا مع هذا المشهد نسجلها في النقاط التالية:

١- يواصل الرجل المؤمن إقامة الحجج على قومه، فيتساءل مستنكرًا على قومه دعوتهم له إلى النار، بينما هو يدعوهم إلى الجنة والنجاة من النار.

٢- كيف تدعونني للشرك بالله الواحد الأحد، بينما أدعوكم إلى العزيز الغفار.

٣- حقًا إن دعوتكم باطلة لا وزن لها في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنها كفر بالله وبرسوله موسى، وأننا جميعًا راجعون إلى الله يوم القيامة يفصل بيننا.

٤- ثم يعلن مفاصلة قومه وبين باطلهم، ويتحداهم ويهددهم ويتوعدهم بما ينتظرهم من عذاب الله في الدنيا قبل الآخرة، وعندها سيذكرون ما نصحهم به، ولكن بعد فوات الأوان.

٥- هذا المؤمن الصادق يعلن عدم خشيته من تهديد قومه ولا وعيدهم؛ لأنه فوَّض أمره إلى الله فهو سبحانه بصير بالعباد وأحوالهم.

٦- لما صدَق الرجل مع الله صدق الله معه، ووقاه سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب.

رزقنا الله وإياكم الصدق مع الله حتى ننال وعده الذي وعد بنصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وللحديث بقية. والحمد لله رب العالمين.



قل لا أسألكم عليه أجراً

إعداد / عبده الأقرع

الحمد لله رافع أهل العلم درجات، والمفضل ذوي العلم في الحياة والممات، والصلاة والسلام على خير من علَّم وهدى، وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته وبهديه اهتدى.

أما بعد:

فإن الإيمان بالله عز وجل والدعوة إليه، والنصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر، من أبرز سمات هذه الأمة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي فاقت بها سائر الأمم، يقول الله عز وجل: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠].

لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: القطب الأعظم في هذا الدين، والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين والصالحين، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة إلى الله عمل الأنبياء والمرسلين، والدعاة والمصلحين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم. ومن هديهم أجمعين الترفع عما في أيدي الناس من حطام الدنيا الزائل، والتطلع إلى ما عند الله من أجر وذخر، سبيل سلكها المرسلون، ودرج على أثرهم الدعاة الأولون.

فهذا نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول بعثه الله لأهل الأرض، يقول لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾» [الشعراء: ١٠٧- ١٠٩].

وسار على أثره هود عليه الصلاة والسلام، فقال لقومه: «يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾» [هود: ٥١].

وكذلك صالح عليه الصلاة والسلام قال لقومه: «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾» [الشعراء: ١٠٩].

وكذلك لوط عليه الصلاة والسلام قال:

«وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ» [الشعراء:١٤٥].

هذا هو هدي الأنبياء في الدعوة إلى الله: لا ينتظرون الأجر والجزاء إلا من الله، فهو الذي كلفهم، وهو الذي يثيبهم، وأجره هو الذي يتطلع إليه الداعي إلى الله، «عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ» [هود:١٠٨] أي: غير مقطوع بل هو دائم أبدًا، وبذلك أمر الله خاتم النبيين نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ» [الأنعام:٩٠].

وقرر الله تعالى هذا المنهج الرباني في الدعوة إلى الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: «وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧» [الفرقان: ٥٦- ٥٧]، وقال تعالى: «قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧» [سبأ:٤٧]، وقال تعالى: «قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ» [ص:٨٦]، وقال تعالى: «أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠» [الطور:٤٠].

وهذا المنهج الرباني في الدعوة إلى الله لم يتغير من لدن أول الرسل إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولم يستنكف عن تقريره نبيّ ولا رسول، فهي كلمة واحدة.

ومن كان هذا حاله من الدعاة فحسبه التأسي برسل الله، وأيضًا صدقه في الدعوة إلى الله، وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء، وتأمل هذه الحقيقة التي استدل بها مؤمن آل ياسين على قومه: «وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١» [يس: ٢٠- ٢١]، وهذه السبيل لم يتنكبها رباني ورث الدعوة عن أنبياء الله.

فهذا التابعي الجليل أبو حازم يعظ سليمان بن عبد الملك قائلاً: «عظم ربك ونزه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك». فلما خرج من عنده، بعث إليه سليمان بن عبد الملك بمائة دينار، وكتب إليه: أن أنفقها، ولك عندي مثلها كثير. فردها أبو حازم، وكتب إليه: «يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً، أو ردي عليك بذلاً، وما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي، فإن كانت هذه المائة عوضًا لما حدثت، فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه، وإن كان لك حق في بيت المال، فلي بها نظر، فإن ساويت بيننا وإلا فليس لي فيها حاجة». [سنن الدارمي: ١/١٥٧، ١٥٨].

وهذا العزّ بن عبد السلام ينصح للملك الأشرف، فيقول الأشرف: «جزاك الله عن دينك ونصائحك وعن المسلمين خيرًا، وجمع بيني وبينك في الجنة بمنه وكرمه، وأطلق له ألف دينار مصرية، فردها سلطان العلماء قائلاً: «هذه اجتماعةٌ لله، لا أكدرها بشيء من الدنيا». [طبقات الشافعية الكبرى: ٥/٩٩].

ولما سافر شيخ الإسلام ابن تيمية على البريد سنة سبعمائة وحضّ على الجهاد رُتّب له مُرَتّب في كل يوم وهو دينارٌ وتحفة وجاءته بقجة (ملابس)، فلم يقبل من ذلك شيئًا. [تاريخ ابن الوردي: ٢/٤١١].

فيا أيها الداعي إلى الله: «لا تزال كريمًا على الناس ولا يزالون يُكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك». وقد قيل: استغن عمن شئت فأنت نظيره، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره. [فيض القدير: ١/١٠٢].

فكلما ازداد استغناء العبد عن الناس كلما ازداد حبهم له وتوقيرهم إياه حتى يسوّدوه عليهم، ولذلك دخل أعرابي البصرة فقال: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن. قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم. [فيض القدير: ١/٤٨١].

ولذلك كان الأنبياء أزهد الناس فيما في أيدي الناس، وكانوا يعلّمونهم الخير بلا أجر، وإنما كان شعارُ كل واحد منهم: «إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ» [يونس:٧٢]، «وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ» [الشورى:٣٦].

اللهم زهدنا فيما في أيدي الناس، وأغننا بفضلك عمن سواك، إنك ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم



إلى أولياء الأمور

إعداد / جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه، وبالإلهية يفردوه، وجعل لهم حقًا إن هم عبدوه، ألا يروا العذاب ولا يَردُوه، فعلى العقلاء أن يعرفوا حقه تعالى ويؤدوه، وأن يقبلوا أمره وشرعه ولا يردُّوه.

ومن هذه الأوامر في شريعة ربنا سبحانه قوله لعباده المؤمنين: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾» [التحريم:٦].

والآية خطاب لأهل الإسلام وليس غيرهم، وفيها تهديد ووعيد لمن فرّط في تربية أولاده وتأديبهم الأدب الذي دلت عليه الآيات والأحاديث وفعل السلف الصالح رجالاً ونساءً.

وفي هذا المقال والمقام، أود أن أوجه الحديث لأولئك المتساهلين في تربية أولادهم في سلوكهم ومظاهرهم وملابسهم ومعاملاتهم:

ملابس الكبار والصغار:

ليعلمْ كل مسلم أن الألبسة التي يلبسها الناس تخضع في أكثر أحوالها إلى العرف والعادة، لكن يبقى هناك إطار عام وأصل ثابت، تدخلت الشريعة في تحديده ووصفه للرجال والنساء، وقد قال الله تعالى: «يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾» [الأعراف:٢٦]، فالملابس التي تواري السوءات واجبة على كل من يلبسها، والريش هو الزائد على ما يستر العورة، مع اعتبار أن عورة المرأة تزيد على عورة الرجل، فالرجل يُظهر ما لا تظهره المرأة.

وقد حدَّد الشرع للرجال وللنساء في الدنيا خطوطا عريضة وأصولاً ثابتة في أمر اللباس؛ لا يصلح ولا يجوز تعديها أو تجاوزها، فمنع على الرجال الإسبال، وأمر به النساء، فقال في حق الرجال كما جاء في حديث أبي هريرة مرفوعًا: «وما أسفل من الكعبين في النار». [ابن ماجه ٣٥٧٣ وصححه الألباني].

وأما النساء فيجب على المرأة أن تطيل ذيلها شبرًا من الكعبين أو شبرين، لا تزيد على ذلك، سترًا لأقدامهن لقوله عليه الصلاة والسلام: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «يرخين شبرًا». فقالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: «يرخين ذراعًا ولا يزدن عليه». [الترمذي ١٧٣١ وصححه الألباني].

وأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ طَرِيق أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابن عُمَرَ رَضِي الله عنهما: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ فَقَالَ:» يُرْخِينَ شِبْرًا». فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ:» فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ». لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ .

وأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الصِّدِيقِ عَنِ ابن عُمَرَ قَالَ رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ لِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ شِبْرًا ثُمَّ اسْتَزَدْنَهُ فَزَادَهُنَّ شِبْرًا، فَكُنَّ يُرْسِلْنَ إِلَيْنَا فَنَذْرَعُ لَهُنَّ ذِرَاعًا، وَأَفَادَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ قَدْرَ الذِّرَاعِ الْمَأْذُونِ فيه وَأَنَّهُ شِبْرَانِ بِشِبْرِ الْيَدِ الْمُعْتَدِلَة، وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْفَهْمِ التَّعَقُّبُ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَحَادِيثَ الْمُطْلَقَةَ فِي الزَّجْرِ عَنِ الْإِسْبَالِ مُقَيَّدَةٌ بِالْأَحَادِيثِ الْأُخْرَى الْمُصَرِّحَة بِمَنْ فَعَلَهُ خُيَلَاءَ، قَالَ النَّوَوِيُّ: ظَوَاهِرُ الْأَحَادِيثِ فِي

ـور في البيت المسلم

تَقْيِيدِهَا بِالْجَرِّ خُيَلَاءُ يَقْتَضِي أَنَّ التَّحْرِيمَ مُخْتَصٌّ بِالْخُيَلَاءِ وَوَجْهُ التَّعَقُّبِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا كَانَ فِي اسْتِفْسَارِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ حُكْمِ النِّسَاءِ فِي جَرِّ ذُيُولِهِنَّ مَعْنًى، بَلْ فَهِمَتِ الزَّجْرَ عَنِ الْإِسْبَالِ مُطْلَقًا سَوَاءٌ كَانَ عَنْ مَخِيلَةٍ أَمْ لَا ، فَسَأَلَتْ عَنْ حُكْمِ النِّسَاءِ فِي ذَلِكَ لِاحْتِيَاجِهِنَّ إِلَى الْإِسْبَالِ مِنْ أَجْلِ سَتْرِ الْعَوْرَةِ لِأَنَّ جَمِيعَ قَدَمِهَا عَوْرَةٌ ، فَبَيَّنَ لَهَا أَنَّ حُكْمَهُنَّ فِي ذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ حُكْمِ الرِّجَالِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَطْ . وَقَدْ نَقَلَ عِيَاضٌ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الْمَنْعَ فِي حَقِّ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ وَمُرَادُهُ مَنْعُ الْإِسْبَالِ لِتَقْرِيرِهِ أُمَّ سَلَمَةَ عَلَى فَهْمِهَا، إِلَّا أَنَّهُ بَيَّنَ لَهَا أَنَّهُ عَامٌّ مَخْصُوصٌ، لِتَفْرِقَتِهِ فِي الْجَوَابِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الْإِسْبَالِ وَتَبْيِينِهِ الْقَدْرَ الَّذِي يَمْنَعُ مَا بَعْدَهُ فِي حَقِّهِنَّ كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الرِّجَالِ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ لِلرِّجَالِ حَالَيْنِ حَالُ اسْتِحْبَابٍ وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ بِالْإِزَارِ عَلَى نِصْفِ السَّاقِ ، وَحَالُ جَوَازٍ وَهُوَ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَكَذَلِكَ لِلنِّسَاءِ حَالَانِ حَالُ اسْتِحْبَابٍ وَهُوَ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا هُوَ جَائِزٌ لِلرِّجَالِ بِقَدْرِ الشِّبْرِ، وَحَالُ جَوَازٍ بِقَدْرِ ذِرَاعٍ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّفْصِيلَ فِي حَقِّ النِّسَاءِ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ طَرِيقِ مُعْتَمِرٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَرَ لِفَاطِمَةَ مِنْ عَقِبِهَا شِبْرًا وَقَالَ هَذَا ذَيْلُ الْمَرْأَةِ وَأَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى بِلَفْظِ شَبَرَ مِنْ ذَيْلِهَا شِبْرًا أَوْ شِبْرَيْنِ وَقَالَ لَا تَزِدْنَ عَلَى هَذَا.[فتح الباري لابن حجر١٠/٢٥٩].

ووصف الله تعالى لباس من أطاع في الدنيا كيف تكون في الآخرة، فقال: «وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » [الحج: ٢٣]، وقال: «وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ » [الكهف: ٣١]، كما وصف ثياب العصاة من المسلمين فقال عن بعض هؤلاء العصاة: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». [مسلم ٢٢٠٣عن أبي مالك الأشعري].

ووصف ثياب الكفار في النار فقال: «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ » [الحج:١٩].

وعليه؛ فإن الشريعة حددت أطرًا عامة لملابس الرجال والنساء، لا ينبغي تجاوزها، فعن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله رأى عليه ثوبين معصفرين، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» [مسلم ٥٥٥٥].

وفي رواية: رأى النبي ﷺعليَّ ثوبين معصفرين، فقال: «أمك أمرتك بهذا؟» قلت: اغسلهما؟ قال: «بل أحرقهما». واللفظان في صحيح مسلم.

والثياب المعصفرة ثياب مصبوغة بلون أحمر تلبسها النساء.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا أهل تسليم لله سبحانه وطاعة لرسوله، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أقبلنا مع رسول الله من ثنية، فالتفت إليَّ وعليَّ ريطة مضرَّجة بالعصفر (وهي الملاءة أو الثوب اللين الرقيق)، فقال: «ما هذه؟» فعرفت ما كره، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم (يوقدون الفرن)، فقذفتها فيه، ثم أتيته من الغد، فقال: يا عبد الله؛ ما فعلت الريطة؟ فأخبرته فقال: «ألا كسوتَها بعض أهلك»؟ أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وزاد: «فإنه لا بأس به للنساء». [وحسنه الألباني].

فإذا كانت الشريعة شددت في الالتزام بما حدده النبي للرجال والنساء أو للأطفال في طريقة ارتداء ملابسهم، فلماذا يعتاد بعض الناس على إلباس بناتهم الملابس القصيرة والضيقة التي تبين مفاصل الجسم، وحجم العظام، سواء كانت للبنات الكبيرات أو الصغيرات؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». [البخاري ومسلم وغيرهما].

فيجب على المسلم والمسلمة؛ المربي والمربية القيام بهذه المسئولية، ويتقي كل منهما الله عز

وجل ويمنع من هذه الألبسة، فقد ثبت أن النبي قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد».. وذكر: «نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها». [مسلم ٥٧٠٤ وغيره].

وهؤلاء النسوة اللاتي يستعملن الملابس والثياب القصيرة كاسيات؛ لأن عليهن كسوة، لكنهن عاريات لظهور عوارتهن؛ لأن المرأة بالنسبة للنظر من الأجانب كلها عورة، وجهها ويداها ورجلاها، وجميع أجزاء جسمها، هذا بالنسبة لغير المحارم، وكذلك الألبسة الضيقة وإن كانت كسوة في الظاهر لكنها عري في الواقع، فإن إبانة مقاطع الجسم بالألبسة الضيقة هو تعرٍّ، فعلى المرأة أن تتقي ربها ولا تبين مفاتنها، وعليها ألا تخرج إلى السوق إلا وهي مستترة لابسة ما لا يلفت النظر، ولا تكون متطيبة، لئلا تجر الناس إلى نفسها.

فعن ابن أسامة بن زيد أن أباه أسامة قال: كساني رسول الله قبطية كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله : «ما لك لا تلبس القبطية؟» قلت: يا رسول الله؛ كسوتها امرأتي، فقال لي: «مُرْها فلتجعل تحتها غلالة، إني أخاف أن تصف حجم عظامها». [مسند أحمد وصححه الألباني].

وعلى المرأة ألا تخرج من بيتها إلا لحاجة، ولا ينبغي أن تكون متطيبة ولا متبرجة، ولا تمشي مشية ريبة تعجب الفساق والمتطلعين، لقول رسولنا :«ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء». [البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد].

ففتنة النساء عظيمة لا يكاد يسلم منها أحد، وعلينا نحن المسلمين ألا نقلد غيرنا من غير المسلمين، ولا تنجر نساؤنا خلفهم وخلف كل جديد مما فيه فتنة وبُعد عن شريعة رب العالمين، فإن «من تشبه بقوم فهو منهم» [أبو داود ، وقال الألباني : حسن صحيح]، ومن أحب قومًا حُشر يوم القيامة معهم؛ لقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «المرء مع من أحب» [متفق عليه].

وإن أولئك الذين يدعون إلى السفور والاختلاط لفي ضلال مبين، وجهل عظيم؛ لمخالفتهم أمر رسول الله ، وهم يجهلون أو يتجاهلون ما نزل بالأمم التي ابتُليت بهذا الأمر، وهم يريدون الآن التخلص من هذه المصيبة التي أصابتهم ببغيهم، وأنى لهم ذلك، فقد صارت فيهم عادة لا تتغير إلا بمجهود عظيم.

ومن المشاهد أن بعض الناس يسير وراء هؤلاء الضُّلال بغير عقل ولا روية؛ ظانًا أنه يجاري الحضارة والمتحضرين، وهذا وهم منه وجهل بدينه.

كذلك يجب على المرأة المسلمة العفيفة ألا تسير في الطريق وهي مستعرضة له ، وفي مواجهة الجميع دون حياء من الكبار أو الصغار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ».[٤: ٧٢] [صحيح ابن حبان - محققا ١٢/ ٤١٦]

وعَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ».[سنن أبي داود ٤/ ٣٦٩ وحسنه الألباني]. فَالْمَعْنَى تَأَخَّرْنَ عَنْ وَسَطِ الطَّرِيقِ. وَابْعُدْنَ عَنْ حَاقِّهَا إِلَى حَافَتِهَا، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (فَإِنَّهُ) أَيِ: الشَّأْنُ (لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ) : بِضَمِّ الْقَافِ الْأُولَى أَيْ: تَذْهَبْنَ فِي حَاقِّ الطَّرِيقِ، وَالْحَاقُّ بِتَشْدِيدِ الْقَافِ الْوَسَطُ. (عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ) . جَمْعُ حَافَةٍ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ أَيْ: بِأَطْرَافِهَا وَجَوَانِبِهَا.

[مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/ ٢٩٨٣]

ولا شك أن بعض الناس يعتني ويحافظ على بناته الصغار ، حتى إن بعضهم يلزم ابنته بلبس الخمار وعمرها أربع سنوات لأنه يعلم أن من شب على شي شاب عليه، ويجتهد في فرض ذلك على جميع أسرته. ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم من بلغ سبع سنين بالصلاة، وإن لم يكن مكلفا من أجل أن يعتاد عليها.

وعلى كل حال فالطفلة الصغيرة ليس لعورتها حكم، ولا يجب عليها ستر وجهها ورقبتها، ويديها ورجليها، ولا ينبغي إلزام الطفلة بذلك، لكن إذا بلغت البنت حدا تتعلق بها نفوس الرجال وشهواتهم فإنها تحتجب دفعا للفتنة والشر، لكنها تُعوَّد ويختلف هذا باختلاف النساء، فإن منهن من تكون سريعة النمو جيدة الشباب، ومنهن من تكون بالعكس.

فإذا بلغت فعليها لبس ما يستر الوجه وكذلك

اليدين أمام الرجال الأجانب وهو ما يعرف بالقفازين ، وينبغي للمرأة أن تلبسه حتى لا تتبين كفاها، وربما يدل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تتنقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين» . ربما يدل على أن النساء كان من عادتهن لبس القفازين، وأنه أستر للمرأة، وأبعد عن الفتنة، ولكن يجب أن يكون القفازان غير جميلين بحيث لا يلفتان النظر من الرجال

نصيحة لمن يمنع أهله من الحجاب الشرعي

ألا فليتق الله عز وجل الرجل في أهله، وأن يحمد الله عز وجل الذي يسر له زوجة صالحة مثل هذه الزوجة التي تريد أن تنفذ ما أمر الله به من اللباس الشرعي الكفيل بسلامتها من الفتن، وإذا كان الله عز وجل قد أمر عباده المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم النار في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾» [التحريم:٦] .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حمل الرجل المسئولية في أهله فقال: «الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته» . فكيف يليق بهذا الرجل أن يحاول إجبار زوجته على أن تدع الزي الشرعي في اللباس إلي زي محرم يكون سببا للفتنة بها ومنها، فليتق الله تعالى في نفسه، وليتق الله في أهله، وليحمد الله على نعمته أن يسر له مثل هذه المرأة الصالحة. وأما بالنسبة لزوجته فإنه لا يحل لها أن تطيعه في معصية الله أبدا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

عمل المرأة مع الرجل

الذي أراه أنه لا يجوز الاختلاط بين الرجال والنساء بعمل حكومي أو بعمل في قطاع خاص أو في مدارس حكومية أو أهلية، فإن الاختلاط يحصل فيه مفاسد كثيرة ولو لم يكن فيه إلا زوال الحياء للمرأة وزوال الهيبة من الرجال، لأنه إذا اختلط الرجال والنساء أصبح لا هيبة عند الرجال، وهذا أعني . الاختلاط بين الرجال والنساء . خلاف ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، وخلاف ما كان عليه السلف الصالح. ألم تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للنساء مكانا خاصا إذا خرجن إلي مصلى العيد، لا يختلطن بالرجال كما في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خطب في الرجال نزل وذهب للنساء فوعظهن وذكرهن، وهذا يدل على أنهن لا يسمعن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم أو إن سمعن لم يستوعبن ما سمعن من الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم ألم تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وخير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها» وما ذلك إلا لقرب صفوف النساء من الرجال، فكان شر الصفوف، ولبعد آخر صفوف النساء من الرجال فكان خير الصفوف، وإذا كان هذا في العبادة المشتركة فما بالك بغير العبادة، ومعلوم أن الإنسان في حال العبادة أبعد ما يكون عما يتعلق بالغريزة الجنسية، فكيف إذا كان الاختلاط بغير عبادة فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، فلا يبعد أن تحصل فتنة وشر كبير في هذا الاختلاط.

والذي أدعو إليه سائر المسلمين أن يبتعدوا عن الاختلاط وأن يعلموا أنه من أضر ما يكون على الرجال كما قال صلى الله عليه وسلم: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» . فنحن والحمد لله . نحن المسلمين . لنا ميزة خاصة يجب أن نتميز بها عن غيرنا، ويجب أن نحمد الله سبحانه وتعالى أن منّ علينا بها، ويجب أن نعلم أننا متبعون لشرع الله الحكيم الذي يعلم ما يصلح العباد والبلاد، ويجب أن نعلم أن من نفروا عن صراط الله . عز وجل . وعن شريعة الله فإنهم في ضلال وأمرهم صائر إلي الفساد، ولهذا نسمع أن الأمم التي تختلط نساؤها برجالها أنهم الآن يحاولون بقدر الإمكان أن يتخلصوا من هذا ولكن أنى لهم التناوش من مكان بعيد. نسأل الله أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وشر وفتنة.

العمل المباح

مجالات العمل المباحة للمرأة التي تعمل بها دون أن تخالف دينها كثيرة ، والمجال العملي للمرأة أن تعمل بما يختص به النساء مثل أن تعمل في تعليم البنات سواء كان ذلك عملا إداريا أو فنيا، وأن تعمل في بيتها في خياطة ثياب النساء وما أشبه ذلك، وأما العمل في مجالات تختص بالرجال فإنه لا يجوز لها، حيث إنه يستلزم الاختلاط بالرجال وهي فتنة عظيمة يجب الحذر منها، ويجب أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». فعلى المرء أن يجنب نفسه وأهله مواقع الفتن وأسبابها بكل حال.

فنسأل الله الهداية لسائر المسلمين.

والحمد لله رب العالمين

من مناقب الزبير بن العوام، رضي الله عنه

إعداد / أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ: فإن الزبير بن العوام رضي الله عنه ممن شارك في موقعة الجمل واستُشهد مع أنه ترك ساحة القتال، وفي هذا المقال نبين مناقب الزبير وفضائله؛ حتى يعلم المخالف قدره، ويكف الطاعن عن إفكه، ويترضى الصادق عليه، ويسأل رب العالمين أن يُحشر مع صحابة النبي الأبرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصي بن كلاب، وهو حواري الرسول صلى الله عليه وسلم وابن عمته، فأمه صفية بنت عبد المطلب، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى الذين استخلفهم عمر رضي الله عنه، أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تعرض للتعذيب بعد إسلامه؛ حيث كان عمه يضعه في حصير يلفه ثم يدخن عليه النار، ويقول له: ارجع إلى الكفر. فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا. [سير أعلام النبلاء ١/١٤١].

والزبير رضي الله عنه هو أول من سلَّ سيفه في سبيل الله، فعن سعيد بن المسيب قال: أول من سل سيفه في ذات الله الزبير بن العوام؛ حيث كان قائلاً فسمع من يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل، فخرج من البيت مجردًا السيف صلتًا، فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما شأنك يا زبير؟ قال: سمعت أنك قُتلت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت صانعًا؟ قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، قال سعيد: أرجو ألا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

والزبير رضي الله عنه جمع بين

الهجرتين؛ حيث هاجر إلى الحبشة حينما اشتد الأذى بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، وهي خير دار عند خير جار، ذلك الملك العادل الذي لا يُظلم عنده أحد. [السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٩].

وفي غزوة بدر كان الزبير فارسًا مقدامًا وبطلاً مغوارًا، اتصف بالشجاعة والبطولة والإخلاص، وكان رضي الله عنه أحد الفارسين في غزوة بدر؛ حيث كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسان الزبير على الميمنة، والمقداد بن الأسود على الميسرة. [سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦].

وفيه قال عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدي ابن عمة أحمد ووزيره
عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس
شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصره
بالحوض يوم تألب الأعداء

وقتَل الزبير رضي الله عنه يوم بدر عبيدة بن سعيد وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه، لكن الزبير طعنه في عينه فمات، وكان يكنى أبا ذات الكرش. [صحيح البخاري- كتاب المغازي].

أما يوم أحد فكان الزبير من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح؛ حيث انتدبه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والصديق رضي الله عنهما في آثار المشركين؛ ليعلموا أن بالمسلمين قوة، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، ولم يلقوا عدوًا.

وبرز الزبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم طلبًا لسيفه عندما قال عليه الصلاة والسلام بعد أن أخرج سيفه: من يأخذ هذا السيف بحقه؟

وفي يوم الخندق قال صلى الله عليه وسلم: من يأتيني بخبر بني قريظة؟ فقال الزبير: أنا، ثم ذهب على فرسه، وأتى بخبرهم وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله، فقال الزبير: أنا، وذهب في الثالثة، قال صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حواري، وحواريي الزبير». [مسلم: ٢٤١٤].

ومعنى حواري أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ولذا لما سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير، وإلا فلا. [ابن أبي شيبة: ١٢٢١٩].

وفي هذه الغزوة أيضًا فداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبويه؛ حيث قال له: «فداك أبي وأمي يا زبير». وفي هذا الحديث منقبة عظيمة للزبير رضي الله عنه؛ حيث فداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه، وفي هذا تعظيم لقدره، واعتداد بعمله، واعتبار بأمره؛ ذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أعز أهله له. [تحفة الأحوذي: ١٠/ ٢٤٦].

والزبير رضي الله عنه هو رجل المهام الصعبة، فهو كاشف أسرار العدو، والقدوة الحسنة في الإيمان العملي والإخلاص والفداء، وهذه أهم صفات الحواريين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره». [رواه مسلم ١٨٨].

ولما قصد عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر لفتحها، لم تكن قواته كافية، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب المدد من الرجال، فأرسل له أربعة آلاف مقاتل، على كل ألف رجل بمقام ألف، وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال. [فتوح مصر والمغرب: ص٦١].

وعند قدوم الزبير على عمرو بن العاص رضي الله عنه وجده محاصرًا حصن بابليون، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، بيد أن شجاعة الزبير كانت السبب المباشر بفتح الحصن، وهزيمة المقوقس؛ حيث صعد على أعلى الحصن وكبّر ومعه سيفه، فتابعه الناس إلى أعلى الحصن، عند ذلك انسحب الروم،

وانتهت المعركة الحاسمة لفتح مصر بسقوط حصن بابليون.

ولمنزلة الصحابة الأطهار عند الزبير سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، قال: إن طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أسمي أبنائي بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون. [تاريخ الإسلام ص٥٠٥].

والزبير رضي الله عنه كان يحب إخفاء الطاعات فهو القائل: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل. [الزهد لابن المبارك: ص٣٩٢].

أما عن كرمه رضي الله عنه فقد كان شديد الكرم، ومن ذلك أن سبعة من الصحابة أوصوا إليه؛ فكان ينفق على ورثتهم من ماله، ويحفظ أموالهم، وهذا العمل نموذج فريد في عالم السمو الخلقي، يدلك على أن الكرم كان له سجية، وقد مدحه حسان بن ثابت بأبيات قال فيها:

قام على عهد النبي وهديه
حواريه، والقول بالفعل يُعدل
أقام على منهاجه وطريقه
يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول إذا كان يوم محجَّل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
بأبيض سباق إلى الموت يرقل(١)
وإن امرؤ كانت صفية أمه
ومن أسد في بيتها لمؤثل(٢)
وكم كربة ذبّ الزبير بسيفه
عن المصطفى، والله يعطي فيجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر
وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

(١) يرقل: يسرع، (٢) مؤثل: عظيم.

وعندما حان وقت الرحيل خرج الزبير رضي الله عنه من معركة الجمل في جولتها الأولى، وهو يتمثل قول الشاعر:

ترك الأمور التي أخشى عواقبها
في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وأنشد عند خروجه:

ولقد علمت لو ان علمي نافعي
ان الحياة من الممات قريب

وبعد خروجه من ساحة القتال تبعه عمرو بن جرموز حتى أدركه بوادي السباع وهو نائم في القائلة فهجم عليه وقتله، ويشهد لهذه الواقعة ما نظمته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو؛ حيث قالت:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة
يوم اللقاء وكان غير معرد

وبعد أن قتله ابن جرموز حمل رأسه وذهب بها إلى عليّ ظنًا منه أن ذلك يُسعده، فقال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار [الحاكم ٥٥٨٠ وصححه ووافقه الذهبي]، ولما رأى سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. [البداية والنهاية ٦/٢٦١].

وعند مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر الزبير بالشهادة، وذلك عندما تحرك جبل حراء، وعليه النبي وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فقال صلى الله عليه وسلم: «اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». [رواه مسلم: ٢٤١٧].

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات للرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث ماتوا جميعًا شهداء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يقول الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: علي وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان ومن السابقين الأولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. [سير أعلام النبلاء: ١/٦٢].

وعند موته قال الزبير لولده: يا بني، إن عجزت عن شيء من دَيْنِي فاستعن بمولاي، فقال له ولده: من مولاك؟ قال: الله. قال عبد الله: فما وقعت في كُربة من دَيْن أبي إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه، فيقضيه. [البخاري ٢٩٦١].

فاللهم ارض عن الزبير واحشرنا معه في الفردوس الأعلى.

والله من وراء القصد.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة اليهودي ساكن مكة وليلة مولد النبي ﷺ

الحلقة (١٣٧)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وغرّهم وجود هذه القصة في كتب السنة، ونقلتها كتب السيرة ويذكرها الخطباء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكم من قصص واهية في المولد خرجناها، وحققناها في هذه السلسلة، وبينا بطلانها، ونذكر القارئ الكريم بما أوردناه من قصص واهية حول مولد النبي صلى الله عليه وسلم اشتهرت وانتشرت ليأخذ حذره منها:

قصة انتقال النور المحمدي والمرأة التي راودت عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه وطرقها السبعة، وقصة ارتجاس إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة، وقصة خمود نار فارس التي لم تخمد قبل ذلك بألف عام، وقصة غيض بحيرة ساوة، وقصة رؤيا كسرى إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا، كل هذه القصص الواهية يزعمون أنها وقعت ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وقصة عبد المسيح مع سطيح، وتفسير رؤيا الموبذان، وقصة آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم عندما أخذها المخاض، وقصة النسوة اللاتي كالنخل طولاً وحضورهن ساعة الميلاد، وقصة الطير التي أقبلت وغطت حجرة آمنة، وقصة الرجال الذين وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، وقصة الأعلام المضروبة بالمشرق والمغرب على ظهر الكعبة، وقصة الطواف بالنبي صلى الله عليه وسلم عند ولادته بالمشارق والمغارب ودخوله البحار، وفي العام الماضي قصة انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأصلاب، ولقد بيّنا بطلان هذه القصص بالبحوث العلمية الحديثية، ثم أتينا عقب كل قصة بالقصص والأحاديث الصحيحة في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونواصل في هذا العدد - إن شاء الله تعالى - التحذير من القصص الواهية في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونقدم للقارئ الكريم قصة اليهوديّ في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً: المتن

رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهوديٌّ قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟

فقال القوم: والله ما نعلمه، قال: الله أكبر؛

أما إذا أخطأكم فلا بأس.

انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد فيكم هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، لا يرضع ليلتين، وذلك أن عفريتًا من الجن أدخل أصبعه في فمه فمنعه الرضاع، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله، فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدًا، فالتقى القوم فقالوا:

«هل سمعتم حديث هذا اليهودي؟ بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر، قال: فاذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة، فقال: أخرجي إلينا ابنك، فأخرجته وكشفوا له عن ظهره، فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيًا عليه، فلما أفاق قالوا: ويلك ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل، أفرحتم به يا معشر قريش؟ أما والله يسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب، وكان في النفر الذي قال لهم اليهودي ما قال: هشام، والوليد ابنا المغيرة، ومسافر بن أبي عمرو، وعبيدة بن الحارث، وعقبة بن ربيعة - شاب فوق المحتلم - في نفر من بني عبد مناف وغيرهم من قريش».

ثانيا: التخريج

أخرج هذه القصة الحاكم في «المستدرك» (٢/٦٠١- ٦٠٢) قال: حدثنا أبو محمد بن جعفر الفارسي، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى الكناني، حدثني أبي، عن ابن إسحاق قال: كان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة...». القصة.

ثالثا: التحقيق:

أورد الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الذهبي في «التلخيص» (٢/٦٠٢- مستدرك) وقال: «لا يصح».

قُلتُ: ونفصل العلل ليستبين حكم الإمام الذهبي بعدم صحة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

العلة الأولى: أبو محمد عبد الله بن جعفر الفارسي:

١- أورده الإمام الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/٤٢٨/٥٠٤٥) وقال: «عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد الفارسي النحوي حدّث عن يعقوب بن سفيان الفسَوي» ثم ذكر ترجمته في ثلاثة وثلاثين سطرًا.

٢- ثم لخص ذلك الإمام الذهبي ونقله في «الميزان» (٢/٤٠٠/٤٢٤٦) فقال: عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي، أبو محمد، صاحب يعقوب الفسوي، قال الخطيب: سمعت اللالكائي ذكره وضعّفه، وسألت البرقاني عنه فقال: ضعفوه.. اهـ.

٣- وذكره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣/٣٣٤) (٤٥١٥٥/١٦٤)، وبذكره يتبين أن أبا محمد عبد الله بن جعفر الفارسي لم يرو له أحد من أصحاب الكتب الستة، وهذه العلة من العلل التي تبين ما ذهب إليه الإمام الذهبي في عدم صحة الخبر.

العلة الثانية: أبو غسان محمد بن يحيى الكناني:

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٦٢/٨٣٠٠)، وقال: «محمد بن يحيى أبو غسان الكناني، عن مالك وعنه الذهلي، روى له البخاري، وقال السليماني: حديثه منكر». اهـ.

قُلتُ: ويتساءل كيف يروي له البخاري، وقال السليماني: حديثه منكر؟

وهناك قاعدة مهمة للإجابة عن هذا السؤال لا يعرف قدرها إلا أهل الصنعة نقلها الإمام السيوطي في «التدريب» (١/١٣٩) عن الإمام ابن الصلاح حيث قال الإمام السيوطي: «قال ابن الصلاح في شرح مسلم: من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه في صحيحه بأنه من شرط الصحيح، فقد غفل وأخطأ، بل ذلك متوقف على النظر في كيفية رواية مسلم عنه، وعلى أي وجه اعتمد عليه». اهـ.

قُلتُ: ويجب عند البحث أن نطبق هذه القاعدة على أي رجل من رجال الصحيحين، وإن كان رَوَيَا له احتجاجًا.

ولأهمية هذه القاعدة في علم الحديث التطبيقي: نذكر بأن أحد رجال هذه الصنعة - عفا الله عنا وعنه - صحّح حديثًا من طريق «أبي تميمة» عن «أبي هريرة مرفوعًا» وقال: «هذا إسناد صحيح فإن أبا تميمة اسمه طريف بن مجالد وهو ثقة من رجال البخاري». اهـ.

فطالب العلم المبتدئ في هذه الصناعة يسلم له:

١- حيث إن لأبي هريرة في صحيح البخاري أربعمائة وستة وأربعين حديثًا كذا في «هدي الساري» (ص٥٠٠).

٢- وأبو تميمة طريف بن مجالد من رجال البخاري؛ حيث أورده ابن القيسراني في «الجمع

بين رجال الصحيحين» (١/٨٧٢،٢٣٦).

٣- وبالتحقيق فإن القول: «هذا إسناد صحيح فإن أبا تميمة من رجال البخاري» قول غير صحيح.

وبتطبيق القاعدة نجده قولا فيه نظر؛ حيث إن ذلك متوقف على النظر في كيفية رواية الإمام البخاري له وعلى أي وجه اعتمد عليه.

٤- فأبو تميمة وإن كان ثقة من رجال البخاري فقد غابت عن الباحث الكيفية التي التزمها البخاري في روايته لأبي تميمة في صحيحه وبالبحث لم نجد الإمام خرَّج في صحيحه كله حديثًا واحدًا لأبي تميمة عن أبي هريرة، فرواية أبي تميمة عن أبي هريرة غير صحيحة كما فصلناه في كتابنا «الميزان».

٥- من هذه القاعدة ومن هذا التطبيق:

ننظر في كيفية رواية الإمام البخاري لأبي غسان محمد بن يحيى الكناني وعلى أي وجه اعتمد عليه، حتى يستبين ما أورده الإمام الذهبي وأقره في «الميزان» (٤/٦٢/٨٣٠٠): «روى له البخاري وقال السلماني: حديثه منكر».

٦- أما عن رواية الإمام البخاري لأبي غسان محمد بن يحيى الكناني فبالبحث في «صحيح البخاري» لم نجد لأبي غسان إلا حديثًا واحدًا في كتاب «الشروط» باب «إذا اشترط في المزارعة» إذا شئت أخرجتك وهو الحديث (٢٧٣٠).

٧- أما كيفية رواية الإمام البخاري في صحيحه لأبي غسان فتستبين من هذا الحديث؛ حيث قال الإمام البخاري: حدثنا أبو أحمد مرَّار بن حمويه، حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكناني أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما فَدَعَ أهلُ خيبر عبدَ الله بن عمر قام عمر خطيبًا فقال:.. الخطبة والقصة في إجلاء يهود خيبر».

٨- من هذا السند يستبين الوجه الذي اعتمد عليه الإمام البخاري في روايته لأبي غسان الكناني، حيث إن الإمام البخاري لم يرو له إلا هذا الحديث، يظهر ذلك عند ذكر أبي أحمد مرار بن حمويه في «الفتح» (٥/٣٨٦) حيث قال الحافظ ابن حجر: «وليس له - يعني أبا مرار بن حمويه - في البخاري غير هذا الحديث، وكذا شيخه وهو ومن فوقه مدنيون». اهـ.

والوجه الذي اعتمد عليه الإمام البخاري في روايته لأبي غسان في صحيحه هو رواية أبي غسان عن مالك عن نافع عن ابن عمر.

٩- وهذا الوجه الذي اعتمد عليه الإمام البخاري في روايته لأبي غسان «مالك عن نافع عن ابن عمر» هو أصح الأسانيد كلها، فقد أخرج الحاكم في «علوم الحديث» النوع (١٨) قال: «حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، قال: حدثنا محمد بن سليمان، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر».

١٠- أما الوجه الذي جاءت به هذه القصة عن أبي غسان فهو خبر منكر، حيث جاء عن أبي غسان محمد بن يحيى الكناني، عن أبيه، عن ابن إسحاق به.

١١- فأبو غسان محمد بن يحيى الكناني، عن أبيه يحيى الكناني، ويحيى الكناني والد أبي غسان هو العلة الثالثة في هذا الخبر المنكر.

فقد أورده الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/٢/١٧٥) قال: «يحيى بن علي بن عبد الحميد بن يسار الكناني مدني كان على شرطة المدينة، ادعى أنه سمع محمد بن إسحاق روى عنه ابنه أبو غسان محمد بن يحيى سمعت أبي يقول ذلك». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني لم يرو عنه إلا ابنه أبو غسان محمد بن يحيى ولم يوثق.

وهذا ما بينه أيضًا الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٤/٢٩٧/٣٠٧١) في ترجمته ليحيى الكناني حيث بيّن أنه لم يرو عنه إلا ابنه أبو غسان محمد بن يحيى ولم يوثق فقال: «يحيى بن علي بن عبد الحميد بن يسار الكناني سمع محمد بن إسحاق، سمع منه ابنه أبو غسان محمد بن يحيى». اهـ.

١٢- قلت: من أقوال الإمامين يتبين أن يحيى بن علي الكناني: مجهول العين وحَدُّ مجهول العين بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» النوع (٤٠) قال: «إن سُمي الراوي وانفرد راوٍ واحد بالرواية عنه فهو مجهول العين، فلا يقبلُ حديثه إلا أن يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح، وكذا من ينفرد عنه إذا كان متأهلاً لذلك». اهـ.

نستنتج من هذا التحقيق أن يحيى بن علي الكناني مجهول العين مردود الرواية، وهذا أيضًا من العلل التي تبين ما ذهب إليه الإمام الذهبي في عدم صحة الخبر.

١٣- وعلة رابعة: ابن إسحاق:

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٤٦٨/٧١٩٧): محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المخزومي: ما له عندي من ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة ثم ذكر الإمام الذهبي من وهَّاه.

أ- قال أبو داود: قدري معتزلي.

ب- وقال سليمان التيمي: «كذاب».

جـ- وقال أحمد: «كثير التدليس جدًا».

د- وقال يحيى القطان: «أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب».

م- وروى عن حميد بن حبيب: أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القدر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

ن- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك يجرِّحان ابن إسحاق».

هـ- وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابن إدريس قال: كنت عند مالك فقيل له: إن ابن إسحاق يقول: اعرضوا عليّ علم مالك؛ فإني بيطاره. فقال مالك: «انظروا إلى دجّال من الدجاجلة».

١٤- قلت: وهذه بعض أقوال من وهّاه وجرحه من أئمة الجرح والتعديل، وهناك البعض ممن وثقه، ولكن القاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدم على التعديل» خاصة وأن التجريح ظاهر في الإسناد وفي الاعتقاد، ولذلك أورد الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٧٣/٣): عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن ابن عمر أنه بعث إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ربه؟

فبعث إليه: أي نعم، رآه على كرسي من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة: مَلك في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب». اهـ.

١٥- لذلك في سؤالات البرقاني للإمام الدارقطني في «الجرح والتعديل وعلل الحديث» س(٤٢٣) قال: سألته عن محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه؟ فقال: جميعًا لا يحتج بهما.

قلت: لذلك ما احتج به الإمام البخاري في صحيحه، ولذلك لم يرو له الإمام مسلم احتجاجًا، ولكن روى له خمسة أحاديث استشهادًا؛ لأن ما انفرد به ففيه نكارة. اهـ. كذا في «الميزان» (٤٧٥/٣).

١٦- قلت: وهذا الخبر المنكر الذي جاءت به هذه القصة مما انفرد به ابن إسحاق عن هشام بن عروة، وإن تعجب فعجب أن يروي ابن إسحاق عن هشام بن عروة، وقد أخرج الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٥٧٨/٢٣/٣) قال: «حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا وهيب، قال: سمعت هشام بن عروة يقول: محمد بن إسحاق كذاب». اهـ.

١٧- وفي سؤالات أبي عبد الله السُّلمي للإمام الدارقطني في «الجرح والتعديل» س(٣٦١) قال: «وسألته عن محمد بن إسحاق بن يسار؟ فقال: «اختلف الأئمة فيه، وأعرفهم به مالك». اهـ.

قلت: فانظر إلى قول الإمام مالك فيه:

١٨- فلقد أخرج الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١٢٠/٦) (١٦٢٣/٢) قال: حدثنا ابن حماد، حدثني أبو عون محمد بن عمرو بن الواسطي، حدثنا محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عفان، عن وهيب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: هو كذاب». اهـ.

قلت: وهذا أيضًا من العلل التي تبين ما ذهب إليه الإمام الذهبي في عدم صحة الخبر مع التدليس الكثير عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم كما سنبين:

١٩- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٩٣/٣/٢): حدثنا أبي حدثنا مقاتل بن محمد الرازي عن أبي داود يعني الطيالسي قال: حدثنا عمر بن حبيب قال: قلت لهشام بن عروة حدثنا محمد بن إسحاق قال: «ذاك كذاب». اهـ.

٢٠- قلت: لذلك نجد التدليس في سند الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية «قصة اليهودي ساكن مكة في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم» حيث لم يستطع ابن إسحاق أن يقول: حدثنا هشام بن عروة، وكيف يقول: حدثنا هشام بن عروة وهشام كذّبه كما بينا آنفًا ولم يقل ابن إسحاق: «كان هشام بن عروة يحدثنا عن أبيه».

ولكن قال ابن إسحاق: «كان هشام بن عروة يحدث عن أبيه». اهـ.

قلت: انظر إلى هذا التجهيل والتدليس، فهشام ابن عروة يحدث عن أبيه؟ لذلك قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٩٣/٣/٢): أخبرنا علي بن أبي طاهر فيما كتب إليَّ قال: حدثنا الأثرم قال: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في محمد بن إسحاق؟ قال: «هو كثير التدليس جدًا». اهـ.

قلت: لذلك أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في المرتبة الرابعة (٩)، ثم قال: «محمد بن إسحاق بن يسار: صاحب المغازي مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم». اهـ.

قلت: والمرتبة الرابعة بينها الحافظ ابن حجر في مقدمة «طبقات المدلسين» فقال: «الرابعة من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم، إلا بما صرحوا فيه بالسماع؛ لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل، كبقية بن الوليد». اهـ.

قلت: لذلك نجد ابن إسحاق في المرتبة الرابعة مع بقية بن الوليد بن مسلم، وهؤلاء المدلسون يدلسون تدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس.

وبهذا تكون القصة واهية وسند خبرها تالفًا بالضعفاء، والمجهولين، والكذابين، والمدلسين، ولقد أشرنا في صدر هذا البحث أننا بيّنا القصص والأحاديث الصحيحة في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في أحاديث سلسلة «درر البحار».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

باب الفتاوى

يجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

Q.TAWHEED@YAHOO.COM

الشرط الجزائي

١- السلام عليكم، أرجو منكم توضيح حكم الشرع في الشرط الجزائي في العقود، وجزاكم الله خيرًا.

الشرط الجزائي الذي يشترطه المتعاقدان في البيع والشراء والتصنيع والبناء، ونحو ذلك من العقود؛ بغرض الالتزام بالعقد والوفاء به على الوجه المتفق عليه جائز شرعًا، إلا أن يكون من أخل بالعقد معذورًا شرعًا، ومع ذلك فقد ندب الإسلام إلى العفو وإقالة العثرات، «وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾» [الشورى: ٤٠]

«وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» [البقرة: ٢٣٧].

قراءة بعض السور يوم الجمعة

٢- ما حكم قراءة سورة يس والرحمن والدخان يوم الجمعة من كل أسبوع، فقد قرأت في بعض الكتيبات التي توزع أن من قرأ يس لأهل القبور وسورة الرحمن يوم الجمعة ينال ثوابًا عظيمًا، ثم أقوم بالدعاء لوالدي ولأموات المسلمين، فما حكم هذا الفعل؟

ننصحك وجميع المسلمين بالابتعاد عن هذه الكتيبات التي تجمع بعض السور المتفرقة؛ لأن هذا مخالف للرسم العثماني، وهناك أجزاء مستقلة من القرآن كجزء عم، وتبارك، إلخ، فإن لم تحمل المصحف، فهذه الأجزاء تكفيك.

وأما ما ورد في هذه الكتيبات من فضائل بعض السور واستحباب قراءتها في أيام مخصوصة فأكثرها لا يصح. فاقرأ ما شئت في أي وقت شئت، وننصحك أن تتخذ وردًا لا يقل عن جزء كل يوم، حتى تختم كل شهر، وإن زدت كان خيرًا لك.

أنواع الشهداء

٣- هل هناك حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من مات من مرض أو بثْرٍ فهو شهيد؟ جزاكم الله كل خير.

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل». قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد».

[صحيح مسلم (١٩١٥)].

٤- في حالة نزول إفرازات بصفة متكررة من فتاة هل يجب عليها الوضوء أم تغيير الملابس أم إزالتها لكي تصلي؟

هذه الإفرازات نجسة، وحكمها حكم البول، توجب الاستنجاء والوضوء، وغسل ما أصاب البدن والثوب.

تمكين الأنف من الأرض

٥- فتاة كانت لا تعرف أنه يجب عليها أن يلامس

أنفها الأرض في السجود، هل يوجد كفارة عليها؟

عفا الله عما سلف، ولا كفارة، وعلى كل مصلٍ أن يهتم بتمكين أنفه مع جبهته من الأرض.

التحفظ من رؤية الجيران

٦- سيدة متزوجة في بيتها هل يجب عليها أن تغطي كامل جسدها وشعرها في حالة وجود شباك مفتوح يطل على شقة مجاورة أم لا، ومتى يكون غض البصر واجبًا على الرجل؟

إذا كانت المسافة بين البيتين قريبة بحيث يرى الجيران بعضهم بعضًا، فلا يجوز للمرأة أن تكشف شيئًا من جسدها، لا شعرًا ولا غيره؛ مخافة الاطلاع عليها، وعليها أن تحتاط في فتح الشباك، ولا تفتحه إلا في أوقات متباعدة، وفي وقت تأمن فيه على عورات بيتها.

وعلى الجيران أن يراعوا حرمة الجوار، وأن يغضوا أبصارهم عن الحرمات، كما أمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

حرمة خالة الزوجة

٧ - أريد معرفة مدى حرمة خالة حماتي عليّ؟

هي أجنبية عنك؛ لأن الحرمة التي بينك وبينها حرمة مؤقتة؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وخالتها، والحرمة المؤقتة لا تبيح شيئًا من المرأة.

الأكل من الأموال العامة للشركة

٨ - أنا أعمل في شركة مقاولات والشركة توفر وجبات يومية للعمال المغتربين والعمال الذين يسهرون بعد الساعة الخامسة مساءً، وأنا لست مغتربًا، وبعض الأيام لا أسهر بعد الساعة الخامسة مساءً ومع ذلك أحصل على وجبة غداء يوميًا، وذلك بعلم المدير المسئول عن صرف المبالغ لشراء المتطلبات لعمل هذه الوجبات، وهذه الشركة قطاع عام، فهل أخذي لوجبة الغداء حلال أم حرام، أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

ما دام قانون العمل يشترط ما ذكرت أن لا يُصرف الغداء إلا للمغتربين أو الذين يسهرون وأنت لست مغتربًا، ولا تسهر إلا أيامًا، فلا يحق لك الغداء إلا في الأيام التي تسهرها، حتى لو أذن لك المدير المسئول؛ لأنه موظف مثلك تمامًا، ولا يملك التصرف.

الرضاعة المحرمة

٩ - أنا متزوج منذ ١٣ سنة، وعندي أربعة أولاد، والحمد لله، ولكن علمت قريبًا أن جدتي أرضعتني أنا وزوجتي وعندما بحثت في الموضوع قيل لي: إنها كانت في هذا الوقت لم تكن تنجب، وقيل لي: إنها كان بصدرها لبن، وقالت لي أمي: إنه لم يكن لبنًا إنما كان ماء أصفر كان دائمًا ينزل من صدرها وأنا لا أعلم ماذا أفعل.

قال ابن قدامة: «وإن ثاب لامرأة لبن من غير وطء فأرضعت به طفلاً نشر الحرمة في أظهر الروايتين، وهو قول ابن حامد ومذهب مالك والثوري والشافعي وأبي ثور وأصحاب الرأي، وكل من يُحفظ عنه؛ لقول الله تعالى: «وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ» [النساء:٢٣] ولأنه لبن امرأة فتعلق به التحريم كما لو ثاب بوطء؛ ولأن ألبان النساء خُلقت لغذاء الأطفال فإن كان هذا نادرًا فجنسه معتاد» [المغني (٧ / ٥٤٦)]، وبه قال الشيخ سيد سابق في فقه السنة، وابن عثيمين في فتاويه.

والله أعلم

باب الفقه

أحكام الصلاة

شروط الصلاة

الحلقة الثانية

إعداد/ حمدي طه

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى، أما بعد..

نواصل ما كنا قد بدأنا فيه من الحديث عن شروط الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

طهارة البدن والثوب والمكان

يُشترط لصحة الصلاة: طهارة البدن والثوب والمكان الذي يصلَّى فيه من النجاسة الحسية، متى قدر على ذلك، فإن عجز عن إزالتها صلى معها، ولا إعادة عليه. وجمهور أهل العلم على أنَّ التنزُّهَ من النَّجاسة شَرطٌ لصحَّة الصَّلاة، وأنَّه إذا لم يتنزَّه من ذلك فصلاتُه باطلَة. وذهب بعض أهل العلم إلى أنها ليست شرطاً للصِّحَّة، ولكنها واجبة، فلو صَلَّى وعليه نجاسة فهو آثم، وصلاته صحيحة.

والقول الرَّاجح: هو قول الجمهور؛ لأنَّ هذا الواجب خَاصٌ بالصَّلاة، وكل ما وجب في العبَادة، فإن فواته مبطل لها إذا كان عمداً، وعلى هذا فنقول: إن القول الرَّاجح أنَّ صلاتَه باطلةٌ، فكأنه قيل: لا تُصلِ وأنت متلبِّس بهذه النَّجاسة، فإذا صَلَّى وهو متلبِّسٌ بها، فقد صَلَّى على وجه ما أراده الله ورسوله، ولا أمره به الله ورسوله، وقد ثَبَتَ عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنَا فهو رَدٌّ» [متفق عليه]، فهذا وجه تقرير كون اجتناب النَّجَاسة من شروط الصَّلاة. [الشرح الممتع ٢/١٠٠].

أما الدليل على طهارة البدن، فإن كُلَّ أحاديث الاستنجاء والاستجمار تدل على وجوب الطهارة من النَّجاسة؛ لأن الاستنجاء والاستجمار تطهير للمحل الذي أصابته النَّجَاسة. ومنها إخباره عن الرَّجُلين اللذين يُعذَّبان في قبريهما؛ لأن أحدهما كان لا يَسْتَنْزِهُ من البول وحديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه) [رواه الدار قطني وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٠٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: كنت رجلا مذَّاء (كثير المذي)، فأمرت رجلاً أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته، فسأل فقال: (توضأ واغسل ذكرك) رواه البخاري وغيره. وأمْرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بغسل المذي يدل على أنَّه يُشترط التَّخلي من النَّجاسة في البدن.. وروى أيضًا عن عائشة، أنه صلى الله عليه وسلم قال للمستحاضة: (اغسلي عنك الدم وصلي) [سنن البيهقي ١/٣٢٧]. [فقه السنة ١/١٢٣، الشرح الممتع ٢/٤٦].

وأما الدليل على اشتراط الطهارة من النَّجاسة في الثَّوب:

أولاً: فلقوله تعالى: «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» [المدثر: ٤].

ثانيًا: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت



رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أصلي في الثوب الذي آتي فيه أهلي؟ قال: (نعم، إلا أن ترى فيه شيئًا فتغسله) [رواه أحمد وابن ماجه وقال الألباني: ورجاله رجال الشيخين].

ثالثًا: عن معاوية رضي الله عنه قال: (قلت لأم حبيبة: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في الثوب الذي يجامع فيه؟ قالت: نعم إذا لم يكن فيه أذى) [رواه أحمد وأصحاب السنن، إلا الترمذي، وقال الألباني: وهذا سند صحيح].

كما أن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم أُتِيَ بصبي لم يأكل الطَّعام؛ فبالَ في حِجْره، فدعا بماء فأتبعه إيَّاه. [مسند أحمد ٢٤٣٠١ وصححه الأرناؤوط] وهذا فعل، والفعل لا يقوى على القول بالوجوب، لكن يؤيِّده ما جاء في الحديث السابق.

رابعًا: ما جاء في أحاديث الحيض أن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم سُئل عن دم الحيض يصيب الثَّوب فأمر أن «تَحُتَّه ثم تَقْرُصَه بالماء، ثم تَنْضِحَهُ، ثم تصلي فيه» [متفق عليه]، وهذا دليل على أنه لا بُدَّ من إزالة النَّجاسة.

خامسًا: أنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى ذات يوم بنعليه، ثم خلع نعليه، فخلع الصحابة نعالهم، فسألهم حين انصرف من الصَّلاة: لماذا خلعوا نعالهم؟ فقالوا: رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا، فقال: «إنَّ جبريل أتاني فأخبرني أنَّ فيهما أذًى أو قذرًا» [الحاكم في المستدرك ٩٥٥ وصححه ووافقه الذهبي]، وهذا يدل على وجوب التَّخلي من النَّجاسة حال الصَّلاة في الثوب. [فقه السنة ١/١٢٤، الشرح الممتع ٢/٤٦].

وأما الدليل على اشتراط الطهارة من النجاسة في المكان:

أولاً: فقوله تعالى: «وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾» [البقرة: ١٢٥].

ثانيًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فقام إليه الناس ليقعوا به. فقال صلى الله عليه وسلم: (دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) [رواه الجماعة إلا مسلمًا].

وتشترط طهارة مكان المصلي مباشرة، فإن لم تباشره النجاسة جازت الصلاة،كما في الصور الآتية:

أ- الصلاة على بساط عليه نجاسة: إذا صلى على بساط عليه نجاسة: فإن صلى على الموضع النجس، فلا تصح صلاته بالاتفاق؛ لأنه ملاق للنجاسة، ووضع العضو على النجاسة بمنزلة حملها. وإن صلى على موضع طاهر، صحت صلاته اتفاقاً أيضاً؛ لأنه غير ملاقٍ للنجاسة ولا حامل لما هو متصل بالنجاسة

ب- الصلاة على موضع نجس بحائل: إن فرش على الأرض النجسة شيئاً وصلى عليه، جاز بالاتفاق؛ لأنه غير مباشر للنجاسة ولا حامل لما هو متصل بها.

جـ- النجاسة في بيت أو صحراء: إذا كانت النجاسة في بيت أو صحراء وعرف مكانها، صلى في المواضع الخالية عن النجاسة.

وإن خفي عليه موضعها: تحرى المكان الطاهر وصلى عند الحنفية. وقال الشافعية : إن كانت الأرض واسعة كصحراء، فصلى في موضع منها جاز؛ لأنه غير متحقق لها؛ ولأن الأصل فيها الطهارة، ولا يمكن غسل جميعها. وإن كانت الأرض صغيرة كبيت، لم يجز أن يصلي فيه حتى يغسله، كما في حالة الشك بنجاسة جزء من الثوب؛ لأن البيت ونحوه يمكن غسله وحفظه من النجاسة، فإذا نجس أمكن غسله، وإذا خفي موضع النجاسة منه غسله كله كالثوب. وإن كانت النجاسة في أحد البيتين واشتبها عليه، تحرى، كما يتحرى في الثوبين. وهو الأرجح. [الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي ١/٦٤٨].

مسألة:

إن حبس في موضع نجس . حُش (هو الخلاء)، وجب عليه أن يصلي عند جمهور العلماء، لقوله صلى الله عليه وسلم: «وإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم» [أخرجه مسلم] وقياساً على المريض العاجز عن بعض الأركان. وإذا صلى يجب عليه أن يتجافى عن النجاسة في قعوده بيديه وركبتيه وغيرهما بالقدر الممكن، ويجب عليه أيضاً الإيماء أو الانحناء في السجود إلى القدر الذي لو زاد عليه لاقى النجاسة، ولا يسجد على الأرض على الصحيح؛ لأن الصلاة قد تجزئ مع الإيماء، ولا تجزئ مع النجاسة. ولا تجب عليه الإعادة على الأصح؛ لأنه ترك الفرض لعذر، فلم يسقط عنه الفرض، كما لو ترك السجود ناسياً. [الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٤٩].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

حقوق الأيتام في الإسلام

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن للأيتام حقوقاً عظيمة في الإسلام، من أجل ذلك أردت أن أذكّر إخواني الكرام ببعض حقوق الأيتام في الإسلام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

لماذا نتحدث عن الأيتام؟

اليتيم إذا أخذ حقه من التربية الطيبة والتوجيه السديد، كان له الأثر الطيب في المجتمع، وإذا أهمل هذا اليتيم في صغره، ونشأ تنشئة سيئة فإنه يكون خطراً على مجتمعه، ولذلك اهتم القرآن الكريم، مكيه ومدنيه، بالوصية باليتيم؛ من حيث تربيته، وحُسن معاملته، والمحافظة على ماله، وعدم امتداد الأيدي إليه إلا بالخير، وجاءت السُّنة مؤكدة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم.

معنى اليتيم:

اليتيم في اللغة:

اليتم: الانفراد. واليتيم: الفرد، والجمع: أيتام ويتامى ويَتَمَة. واليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يُقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن منقطع، واللطيم: الذي يموت أبواه، وكل شيء مفرد بغير نظيره، فهو يتيم، يُقال: درةٌ يتيمة. [لسان العرب جـ٦ صـ٤٩٤٨، مختار الصحاح صـ٧٤١].

اليتيم في الشرع: هو الصغير الذي فقد أباه.

متى يزول اسم اليتيم عن الإنسان؟

إذا بلغ الإنسان الحُلُم، وأصبح قادراً على أن يكسب قوت يومه معتمداً في ذلك على الله تعالى ثم على نفسه، فقد زال عنه اسم اليتيم.

روى أبو داود عن عَلِي بْنِ أَبِي طَالِب رضي الله عنه قال: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ، وَلاَ صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ». [صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٤٩٧].

كفالة اليتيم:

هي تربيته وتأديبه، والقيام بأموره، والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته، وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى. [الكبائر للذهبي ص٧٢].

وكافل اليتيم: هو القائم بأمره ومصالحه. [فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١٠ ص٤٥١].

فائدة:

جاء لفظ اليتيم بمشتقاته المختلفة في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرة. [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص٧٧٠].

اقتران توحيد الله بالإحسان إلى الأيتام:

قال الله تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

كفالة الأيتام وإصلاح أحوالهم من البر:

قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠].

عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِي الله عنهما قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وقوله: «إِنَّ الذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا..» الآيَة.. انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِه، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِه، فَجَعَلَ يَفْضُل مِنْ طَعَامِه فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ» فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِه. [صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٤٩٥].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا». [البخاري حديث ٥٣٠٤].

قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك. [فتح الباري لابن حجر ج١ ص٤٥١].

روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. [مسلم حديث ٢٩٨٣]. قال الإمام النووي: قَوْله صلى الله عليه وسلم: (كَافِل الْيَتِيم) الْقَائِم بِأُمُورِهِ مِنْ نَفَقَة وَكِسْوَة وَتَأْدِيب وَتَرْبِيَة، وَغَيْر ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَة تَحْصُل لِمَنْ كَفَلَهُ مِنْ مَال نَفْسه، أَوْ مِنْ مَال الْيَتِيم بِوِلَايَةٍ شَرْعِيَّة. وَأَمَّا قَوْله: (لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ) فَالَّذِي لَهُ أَنْ يَكُون قَرِيبًا لَهُ كَجَدِّهِ وَأُمّه وَجَدَّته، وَأَخِيهِ وَأُخْته، وَعَمّه وَخَاله وَعَمَّته وَخَالَته وَغَيْرهمْ مِنْ أَقَارِبه، وَالَّذِي لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُون أَجْنَبِيًّا. [مسلم بشرح النووي ج٩ ص٣٣٩ - ٣٤٠].

التحذير من ظلم الأيتام وأكل أموالهم بالباطل:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء:٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢].

قال ابن كثير: يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة، وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم؛ ولهذا قال: «وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ» [تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٣٣٦].

كيفية الأخذ بالمعروف من أموال الأيتام:

للعلماء في صفة الأكل بالمعروف من أموال اليتامى: أربعة أقوال:

(١) الأخذ من مال اليتيم على سبيل القرض الحسن.

(٢) الأخذ من مال اليتيم بقدر الحاجة من غير إسراف.

(٣) الأخذ من مال اليتيم بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملاً.

(٤) الأخذ من مال اليتيم عند الضرورة، فإذا أيسر ورزقه الله بالمال، قضى هذا الدَّيْن لليتيم، وإذا لم يُوسر فهو في حِل. [زاد المسير لابن الجوزي ج٢ ص١٦].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: لاَ أَجِدُ شَيْئًا، وَلَيْسَ لِي مَالٌ، وَلِي يَتِيمٌ لَهُ مَالٌ. قَالَ: كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلاَ مُتَأَثِّلٍ مَالاً. قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَلاَ تَقِي مَالَكَ بِمَالِه. [ولا متأثل: أي ولا متخذ من أصل ماله للتجارة ونحوها] [صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٢١٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠].

قال السُّدي: يُبعثُ آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرف كل من رآه بأكل مال اليتيم. [تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٦٦].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ». [البخاري حديث ٢٧٦٦].

نبينا صلى الله عليه وسلم خير من كفل الأيتام:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج الأرامل ومن في رعايتهن أيتام، وذلك من أجل القيام عليهن وعلى مصالح أولادهن، كما حدث عندما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها، وكان أولادها، عمر وسلمة وزينب ودُرَّة، أيتامًا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، قام بكفالتهم وأحسن رعايتهم.

روى مسلمٌ عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. [مسلم حديث ٢٠٢٢].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: لما مات جعفر أَمْهَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ أَوْ غد، ادْعُوا لِي ابْنَيْ أَخِي، قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَّاقَ فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا (أي رفعها) فَقَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ (تغتم)، فَقَالَ الْعَيْلَةَ (الفقر والحاجة) تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟! [مسند أحمد ج٣ ص٢٧٩ رقم١٧٥٠، وصححه الألباني].

اهتمام الصحابة بالأيتام:

اهتم أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اهتماماً كبيراً بالأيتام؛ اقتداءً بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف نذكر بعضاً منهم:

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا، وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمْ الضَّبُعُ (السنوات المجدبة)، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الْغِفَارِيِّ، وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ (بعير قوي) كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَكْثَرْتَ لَهَا، قَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ. [صحيح البخاري حديث ٤١٦٠].

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: عن أبي بكر بن حفص أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه -مائدته- يتيم. [صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ١٠٢].

(٣) أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه: روى ابن سعد عن الحسن بن حكيم قال حدثتني أمي أنه كانت لأبي برزة جفنة من ثريد غدوة، وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين. [الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص ٢٢٤].

كيف نكفل الأيتام؟

اعلم أخي الكريم أنه ليس المقصود بكفالة الأيتام الاهتمام بتربية اليتيم التربية الجسدية، وذلك بتوفير الطعام والشراب والكساء والمسكن فقط ولكن المقصود مع ذلك هو تربية اليتيم عقائدياً وروحياً وأخلاقياً أيضاً في ضوء كتاب الله تعالى وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ حتى يصبح هذا اليتيم عضواً صالحاً في المجتمع المسلم.

ويمكن أن نوجز التربية المثالية لليتيم فيما يلي:

(١) تعليمه العقيدة الصحيحة وهي أساس كل شيء.

(٢) إرشاده إلي إخلاص العمل لله تعالى، والمواظبة على ذكره.

(٣) تعليمه حُسن تلاوة القرآن الكريم وحفظه والعمل به.

(٤) تعليمه الصلاة وأحكامها وباقي أركان الإسلام والحلال والحرام.

(٥) تذكيره بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح رضوان الله عليهم.

(٦) تعليمه حقوق المسلمين عليه وإرشاده إلي اختيار الرفقة الطيبة.

(٧) إرشاده إلي كيفية الدعوة لنشر دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

(٨) إرشاده إلي حُسن الخُلق والبعد عن المعاصي ومنكرات الأخلاق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

مع الدعاة

واجب الوحدة والائتلاف

إعداد/ د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فمما لا شك فيه أن المسلمين أمة واحدة، تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على من سواهم، كما يسعى بذمتهم أدناهم، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، وأساس وحدة الأمة الإسلامُ، وتحكيمُ شريعته، على منهج أهل السنة والجماعة وأصولهم القويمة.

وعليه فإن الدعوة إلى الله على منهج أهل السنة والجماعة، تعني أول ما تعني الاعتصام بالسنة والمحافظة على الجماعة؛ فإن «الجماعة رحمة، والفُرْقة عذاب» [أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦٧)].

قال تعالى: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» [آل عمران:١٠٣].

فتحقيق الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف بين المسلمين عامة، وطوائف العاملين خاصة، من أهم مقاصد الدين وقواعده الكلية، قال تعالى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ» [الشورى:١٣]، وقال تبارك وتعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾» [المائدة:٥٥].

وكما أن البدعة مقرونة بالفُرْقَة، فإن السنة مقرونة بالجماعة، ولا شك أن أعظم سبب للاجتماع هو جمعُ الدين علمًا وعملاً، ونتيجته العز والتمكين في الدنيا، والنجاة من التفرق، والفوز والفلاح في الآخرة، والنجاة من النار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة» [مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١)].

وليس المقصود بالوحدة والائتلاف ذوبان الطوائف في طائفة مخصوصة من الدعاة، ولا انحلال جماعات الدعوة لحساب جماعةٍ بعينها

من الجماعات، وإنما الاعتصام بأصول أهل السنة والجماعة عامة، والاجتماع على صحة المعتقد خاصة، والالتقاء على ما سبق من أصول الدعوة وتبنيها علميًا وعمليًا، والاجتماع على هذا الانتماء المبارك أنجح من الاجتماع على راية حزبية، أو دعوة إقليمية، وكل ذلك من شأنه أن يؤلّف القلوب، ويوجّه الجهود، ويجمع كلمة أهل الحل والعقد في الأمة، ويزول معه الانغلاق على الذات، وترقق به الحواجز الموهومة، وتقطع به السُّبُل على قالة السوء ودعاة الفتنة، وتصحح النظرة إلى التعدد في ساحة العمل الإسلامي الذي هو في مجمله تعدد تنوع وتخصص، ينبغي أن تنتفع به الأمة، فتحيا به كافة الفرائض، ويتجدد به أمر الدين، وليس تعدد تعارض وتنازع، تشقى به الأمة، فتتفرق به الصفوف، وتتقطع به العلائق.

قال تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾» [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: «وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» [آل عمران:١٠٣].

ومن نافلة القول أن الاشتراك والتعاون بين آحاد وطوائف الدعاة في الأعمال العلمية النظرية، والبرامج الدعوية العملية، من شأنه أن يحقق الوحدة والتوافق والائتلاف، الذي لا بديل عنه إلا الفرقة والتنازع والاختلاف، ومن ثم الفشل والفناء.

ثم إن الخلاف حقيقةٌ حتمية قَدَرية، وتضييقه بتجنب أسبابه، والخروج منه احتياطًا للدين غاية شرعية.

والموقف من المخالف يتفاوت بتنوع الخلاف:

فصاحب خلاف التنوع محسنٌ مثاب لإصابته الحق.

وصاحب خلاف التضاد فيما كان من الظنيات خلافه سائغ، ولا إنكار عليه ولا تشنيع؛ بل التحاور والتناصح، والتماس المعاذير.

وصاحب خلاف التضاد غير السائغ يُنكَر عليه خلافه، بعد أن تُزَال عنه شبهاته، ويُعَامل بما يستحق أمثاله.

فالاجتماع على ما اتفق أهل السنة عليه، والتناصح والتغافر فيما اختلفوا فيه؛ فروع الفقهيات والعقديات في ذلك سواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء، والسياسة، وغير ذلك،... وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية، كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت، مع بقاء الجماعة والألفة، وهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعًا، ومنها ما المصيب في نفس الأمر واحد عند الجمهور أتباع السلف، والآخر مؤدٍ لما وجب عليه بحسب قوة إدراكه» [مجموع الفتاوى (١٩/١٢٢، ١٢٣)].

العدل والإنصاف أهم آداب الخلاف:

قال ابن القيم: «والله يحب الإنصاف؛ بل هو أفضل حلية تحلّى بها الرجل، خصوصًا من نصّب نفسه حَكَمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: «وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» [الشورى: ١٥]» [إعلام الموقعين (٣/٩٤)].

ومن قوادح العدل والإنصاف ونواقض الوحدة والائتلاف: العصبية لشيخ أو إمام، أو حزب أو رأي اجتهادي، أو مذهبٍ فقهي.

ومن قوادح الاجتماع والألفة: تقديم مصلحة الجماعة الحزبية على مصلحة الأمة المحمدية، وهو ترجيح جانب الانتماء (الوسيلة) على جانب الانتماء (الغاية).

وأعجب من هذا وأنكى تقديم مصالح الداعية الفرد على الطائفة والأمة معًا!

وعلى طوائف العاملين للإسلام وآحادهم -على تعدد مسالكهم العملية واختياراتهم العلمية- أن يحفظوا فيما بينهم الأخوة والعصمة، وأن يحققوا الفائدة من هذا التعدد، فيحصل التخصص الذي يجوِّد

الأداء، ويستوعب أكبر قدر من الأمة، وتجتنب معه الإبادة الجماعية، ويفتح المجال لأكثر من تجربة عملية تثري ساحة الدعوة إلى الله، وتشيع جوًا من المنافسة المحمودة في الخيرات، مع اجتماع الكلمة في القضايا الكبرى والملمات، وتوحيد الصفوف في المواقف العملية والمهمات.

إن أمانة الدعوة إلى الله ومسئولية تعبيد الناس لربهم، مرورًا بتحكيم الشريعة وإقامة دولة القرآن والسنة في هذا العصر لتقتضي -حتمًا- التكامل والتراحم والتعاون بدلاً من التفرق والتباغض والتشاحن، قال سبحانه وتعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» [المائدة:٢].

وإن أمانة الدعوة إلى الإسلام لتستلزم الحض على الجماعة والوحدة والائتلاف، والنهي عن الفرقة والاختلاف، وفي مجالات الدعوة الفسيحة وآفاقها الرحبة من السعة والتنوع ما يستوعب كل اجتهاد، ويستثمر كل طاقة.

والأصل أن طوائف الدعاة وآحادهم المنضوين تحت راية السنة على اختلاف مناهجهم ومسالكهم العلمية والعملية بمثابة التخصصات الطبية المتنوعة المحتاج إليها جميعًا؛ لا يُغني تخصص عما سواه، ولا تتحقق عافية الأمة بالاقتصار على واحد دون ما عداه.

ولا بأس أن يقول كل داعية لصاحبه إذا اختلفا عمليًا كما قال الإمام مالك لصاحبه عبد الله العمري بعد أن حثه على الاقتصار على باب بعينه من أبواب الخير، فكتب إليه قائلاً: «إن الله قسّم الأعمال كما قسّم الأرزاق، فرُبَّ رجل فتح له في الصلاة ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر» [سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤)].

وقد يفتح على الإنسان في العمل المفضول ما لم يفتح عليه في العمل الفاضل، فيكون فاضلاً في حقه عندئذ، قال شيخ الإسلام: «وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض، فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه، وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصّل لكل أحد». [مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠)، (٢٤/ ٢٤٦)].

ومع قلة الإمكانيات وكثرة الواجبات وغلبة المنكرات، وتسلط الأعداء وتسيُّد المنافقين يتعين التعاون والتقارب بين الدعاة أفرادًا وجماعات وهيئات.

وما أجمل أن يقول كل داعية لصاحبه إذا اختلفا علميًا كما قال الإمام الشافعي ليونس الصدفي، وقد تناظرا في مسألة، فلم يتفقا، فلما التقيا أخذ بيده وقال: «يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة» [سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦)].

وأخيرًا فغير خاف على ذي عينين أن دعوى الوحدة والائتلاف نطق بها أفراد وجماعات، وانبرى لها آحاد وطوائف، تأصيلاً وتنظيرًا، ولعله لا يخفى أيضًا أن جُل هؤلاء -إلا من رحم الله- تخالف أعمالُهم أقوالَهم في هذا الأمر، وممارساتُهم نظرياتهم!

ومن النصح الواجب أن يقال: إن كل داعية موقوف ومسئول بين يدي الله عز وجل عن هذه الأمانة الشرعية، والوظيفة النبوية، ثم هو من بعدُ مسئول أمام المؤمنين في هذا الجيل؛ بل وما يأتي من أجيال!

وهذا يدعو تارة أخرى إلى التأكيد على اعتماد أصل هذه الأصول، وهو الإخلاص لله تعالى، والصدق في القول والعمل، وتحقيق الربانية، والتجرد لاختيار ما هو الأنفع للبلاد والعباد.

قال تعالى: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾» [التوبة:١٠٥].

أسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن يصلح أحوالنا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفروق الفقهية بين الأذان والإقامة

دراسة فقهية مقارنة

الحلقة الثانية

إعداد / د. إبراهيم بن مبارك السناني

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على رسول الهدى، معلم البشرية الخير، والهادي إلى الصراط القويم، محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه البررة المهتدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن تعريف الفروق الفقهية، وأهمية علم الفروق الفقهية؛ إذ به يمكن للفقيه الاطلاع على مدارك الفقه ومآخذه، ومعرفة علل الأحكام. وكذا تعريف الأذان والإقامة، والفرق بين الأذان والإقامة في صفة أداء الألفاظ... إلخ. وفي هذا العدد نتحدث عن:

الفرق بين الأذان والإقامة في مشروعيتهما لفوائت الصلوات

الفوائت يقام لها بالاتفاق، ولا يؤذن لها مطلقًا عند المالكية في المشهور، والحنابلة في رواية، وبعض الحنفية، والشافعي في الجديد، ويؤذن للأولى منها فقط عند الحنابلة في المذهب، ومالك في رواية، وبعض الحنفية، والشافعي في القديم، خلافًا لأبي حنيفة، حيث ذهب إلى أنه يؤذن لجميع الفوائت.

الفرق بين المسألتين:

١- أن الأذان دعاء إلى الصلاة، وإيذان بوجوبها، وسنته الجماعة الراتبة، وكل ذلك معدوم في الفوائت، بخلاف الإقامة فإنها دعاء الحاضرين إلى الدخول في الصلاة، فشرعت مع كل صلاة واجبة.

٢- أن الأذان علم على الوقت فيسقط بفواته، بخلاف الإقامة فإنها علم على الشروع في الصلاة فلا تسقط أبدًا.

٣- أنه لو أذّن لها لالتبس بصلاة الوقت، بخلاف الإقامة فإنها لا تلتبس مع غيرها؛ لأنها تكون للحاضرين.

الأدلة: أدلة الجمهور على أنه لا يؤذن للفوائت:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن صلاة، أو نسيها فليصلها إذا ذكرها». [مسلم: ٤٧٦، والبخاري بنحوه: ٧٩٥]. والشاهد: أنه لم يأمره أن يؤذن لها.

٢- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حبس يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء صلاها بإقامة لكل صلاة ولم يؤذن لها. [الترمذي: ٩٧١، والنسائي: ١٦٦].

٣- أن الأذان دعاء إلى الصلاة، وإيذان بوجوبها، وسنته الجماعة الراتبة، وكل ذلك معدوم في الفوائت.

٤- أن الأذان علم على الوقت؛ فيسقط بفواته.

٥- أنه لو أذن لها لالتبس بصلاة الوقت.

٦- أنه لما لم يكن من سننها أن يؤذن لها على المنابر، وإنما يفعل عندهم كما تفعل الإقامة دل على أنه ليس من سننها بوجه.

٧- اعتبارًا بالثانية والثالثة.

٨- أن الأذان للفائتة يزيدها تفويتًا.

استدل لأبي حنيفة بما يلي:

١- حديث أبي قتادة في قصة التعريس، ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما يصنع كل يوم.

٢- قياس الفوائت على الحواضر ليكون القضاء على سنن الأداء.

وأجيب على هذا القياس:

بأنه ينتقض بالثانية من الفوائت قد أذن لما قبلها، فأشبهت الثانية من المجموعتين.

٣- أن الأصل عندنا - معشر الحنفية - أن يؤذن لكل فرض أُدي أو قُضي إلا الظهر يوم الجمعة في المصر.

وأجابوا عن حديث بلال: بأن لا ينافي أنه أذن فكيف وقد صح.

الترجيح:

يترجح في نظري - والعلم عند الله - القول

بمشروعية الأذان للفائتة الأولى دون غيرها، لما ذكر من الأدلة، وصحتها.

وبناءً عليه، يكون الفرق صحيحًا؛ لأنه ما يزال الفرق موجودًا بين الإقامة والأذان في باقي الفوائت.

الفرق بين الأذان والإقامة في مشروعيتهما عند الجمع بين الصلوات

عند الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما يؤذن للأولى، ويقيم لها، ثم يقيم للثانية، ولا يؤذن لها مطلقًا عند الحنابلة، وكذا في جمع التقديم عند الشافعية؛ خلافًا للمالكية حيث قالوا: يؤذن ويقيم لهما جميعًا.

الفرق بين المسألتين:

- النص الوارد في ذلك في فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

١- أن الأذان دعاء إلى الصلاة، وإيذان بوجوبها وسنته الجماعة الراتبة، وكل ذلك معدوم هنا، بخلاف الإقامة فإنها دعاء الحاضرين إلى الدخول في الصلاة، فشرعت مع كل صلاة واجبة.

٢- أن الأذان علم على الوقت فيسقط بفواته، بخلاف الإقامة فإنها علَم على الشروع في الصلاة، فلا تسقط أبدًا.

٣- أنه لو أذن لها لالتبس بصلاة الوقت، بخلاف الإقامة فإنها لا تلتبس مع غيرها لأنها تكون للحاضرين.

الأدلة: استدل الجمهور القائلون بالفرق بما يلي:

١- حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر بعرفة، وبين المغرب والعشاء بمزدلفة بأذان وإقامتين.

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع كل واحدة منهما بإقامة.

استدل المالكية على عدم الفرق بما يلي:

أن الثانية منهما صلاة يشرع لها الأذان لو لم تجمع فكذلك إذا جمعت.

الترجيح: ما ذهب إليه الجمهور من الفرق بين المسألتين هو الراجح لصحة الأدلة عليه.

وبناءً عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في اشتراط الطهارة

يكره الأذان للمحدث، وإقامة المحدث أشد كراهة عند جمهور الفقهاء، خلافًا للحنفية في رواية؛ حيث قالوا: يجوز الأذان والإقامة على غير وضوء، ويكره عند الحنابلة حتى يُعاد أذان الجنب.

الفرق بين المسألتين:

١- أن الإقامة تعقبها الصلاة، فاشترطت الطهارة لها: لئلا يحتاج إلى الخروج للطهارة بعد الإقامة، وذلك مما لا ينبغي.

٢- أن في ذلك إيقاع الصلاة منفصلة عن الإقامة إن كان إمامًا أو فذًا، وليس شرعيتها هكذا، بل متصلة إلا لضرورة.

وليس كذلك الأذان؛ لأنه يتقدم الصلاة بمدة، فلا يفتقر إلى وضوء؛ لأن الصلاة غير حاضرة في وقت الأذان، فافترقا.

الأدلة:

استدل الجمهور على التفريق بما يلي:

١- ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤذن إلا متوضئ». [الترمذي: ٢٠٠].

وجه الدلالة:

أنَّ المراد به الإقامة؛ لأنهما أذان وإعلام بخروج الإمام، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: «بين كل أذنين صلاة لمن شاء». [البخاري: ٤٢٦، ومسلم: ٨٣٨].

٢- أنه إذا أقام على غير طهارة فاقل ما في ذلك أنه يعرض نفسه للتهمة، ويستهزئ الناس به.

٣- أن الإقامة تُراد لاستفتاح الصلاة فاحتاج أن يكون على صفة يمكنه استفتاحها.

واستدل الحنفية على مذهبهم بما يلي:

١- أن الأذان ذِكر، والجنب والمحدث لا يُمنَعان من ذكر الله تعالى، وما هو المقصود به وهو الإعلام حاصل.

٢- أن الأذان ذِكر معظَّم فيقاس بقراءة القرآن، والمحدث لا يمنع من ذلك، ويمنع منه الجنب، فكذلك الأذان.

الترجيح:

يظهر لي رجحان قول الجمهور بكراهة أذان المحدث حدثًا أصغر، مع شدة الكراهة له في الإقامة؛ لما ذكر في الأدلة.

وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

وللحديث بقية إن شاء الله.

نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية بتصرف يسير.

يا ساسة.. هذا محمد صلى الله عليه وسلم

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعدُ:

فإن السياسة في اللغة هي: تدبير أمور الدولة، ساس الناس سياسة: تولى رياستهم وقيادتهم، وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها، والساسة قادة الأمم ومدبرو شئونها. [المعجم الوجيز: ٣٢٨].

ولم تعرف البشرية أحدًا ساس أمورها، ودبرها وأصلح أمرها خيرًا من النبي صلى الله عليه وسلم، وسوف نلقي الضوء ونكشف الستار عن عظمة هذا التدبير، وجلال تلك السياسة التي في أقل من ربع قرن غيرت وجه الدنيا وأفرزت خير أمة وأنبتت أطيب الرجال وأثمرت أينع الثمر من عدل ورحمة ودخول في الدين العظيم والجوانب والمواقف في هذه السياسة العظيمة كثيرة جدًا.

أذكر على سبيل المثال منها:

أولاً: يحقن دماء المشركين قبل البعثة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة واحدًا من قومه يشاركهم في أمورهم التي خَلَت من المعاصي، ولما بلغ خمسًا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة وشارك معهم كواحد منهم والعمل جليل وعظيم وهو تجديد بناء بيت رب العالمين، وقريش سيدة العرب اختلفت في من يضع الحجر الأسود مكانها من بناء الكعبة واختصموا، وتواعدوا على القتال.

يقول ابن إسحاق في «سيرته»: مكثوا أربع ليال أو خمسًا فتشاوروا وقال أبو أمية كبيرهم: اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا فأخبروه، فقال: هلموا ثوبًا فأتوه به، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فيه بيديه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعًا، فرفعوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم بنى عليه. [سيرة ابن إسحاق، حديث بناء الكعبة: ٨٨].

والشاهد من هذا كيف كانت حكمة هذا الشاب العظيم قبل أن يُوحى إليه، وكيف إذا توجت هذه الحكمة وتلك الرحمة بوحي من عند رب العالمين، ولعل هذا الاختلاف بين بطون قريش من تقدير الله لترجع بعد النبوة إليه في كل أمورها واختلافها، «فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا» [النساء:٥٩].

ثانيًا: يحفظ أتباعه والمؤمنين به:

من المعلوم أن الإسلام بدأ غريبًا، وكان من يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به يتخفى بهذا الإيمان ولا يعلنه خشية الإيذاء والعذاب ، ومن حفظه لأتباعه أن أمرهم بالهجرة إلى الحبشة فرارًا بالدين حتى يحافظوا على دينهم ويعبدوا ربهم في بلد يأمنون فيه ، فقال: «لو خرجتم إلى أرض فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا». [مسند أحمد: ١٨٣٠٤].

ثالثًا: حامل الخير للبشرية كلها:

أرسل الله سبحانه رسوله للناس أجمعين، فهو ليس رسول قريش أو العرب فحسب ، وإنما هو رسول للناس كافة، بل رسول للإنس والجن: « قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا » [الأعراف:١٥٨]، وقال: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ » [سبأ:٢٨]، ولما كذبه قومه ولم

يستطع أن يؤسس دولة الإسلام في هذه البيئة ، وكان يعرض على الناس في الأسواق ومواسم الحج الخير الذي جاء به ويطلب النصرة حتى تصل الرسالة إلى منتهاها، فكان يقول في كل جمع يجده: «من يأويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة». [مسند أحمد: ١٤٤٩٦]. وحمل الخير في كل مكان استطاعه ، حتى الطائف لما رفضت الخير الذي معه وجاءه ملك الجبال بصحبة جبريل عليه السلام معلنًا استعداده أن يطبق عليهم الأخشبين جزاء أذاهم له صلى الله عليه وسلم، كان رده: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا». [البخاري: ٣٢٣١].

فلم ينتقم لنفسه من معارضيه أو ممن آذوه وإنما هدفه أن يعرف الناس ما معه من الخير فهل يتعلم الساسةُ الصبرَ على الناس وأن يحملوا الخير للناس لا لشعوبهم خاصة.

رابعًا: أول من شرع مفهوم الأمة:

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار واليهود جاء فيه: هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأصبح مفهوم الأمة يُعرف في الجزيرة العربية لأول مرة فانتهت حياة القبيلة، وبدأت حياة الأمة تضم المهاجرين والأنصار على اختلاف أعراقهم فمنهم الحبشي ومنهم الرومي ومنهم الفارسي ومنهم القرشي، وكل من اعتنق هذا الدين هم أمة من دون الناس شعارهم: « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ » [الأنبياء:٩٢].

ووثق عرى هذه الأمة فآخى بين المهاجرين والأنصار وزالت الطبقات والفوارق، وهذا من أعظم أعمال السياسة، وهو التوفيق بين شرائح المجتمع المسلم والتأليف بين أعضائه ، ولم ينس النبي صلى الله عليه وسلم حق الآخرين فجاء في كتابه أو دستور المدينة: «وإنه من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وإن بينهم النصر على من دهم يثرب». [كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم: ٢٦٣].

فلا يوجد في التاريخ سياسي مثل هذا السياسي العظيم يكون دولة من أعراق وقبائل متناحرة.

خامسًا: بعدُ نظره صلى الله عليه وسلم واستقراءُ المآلات:

السياسي الحكيم لا ينظر في الحدث فقط، ولكن ينظر إلى ما وراء الحدث، وهذا تعليم السياسي الأعظم للناس، حيث عقد صلح الحديبية، وكان هذا الصلح نموذجًا فذًا في المعاهدات الدولية حيث لم يُعقد مثل هذا الصلح بهذه الكيفية وبمثل هذه البنود، حيث جاء فيها اعتراف المشركين بالدولة الإسلامية، ووضع الحرب عشر سنين ، والمسلمون في موضع القوة لا الضعف ، ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا هو الخير للدين لا الحرب، حيث يتمكن المسلمون من عرض دينهم على الناس ليدخلوا فيه أفواجًا، وسمحت المعاهدة بالدخول في عقد النبي وعهده لمن شاء، والدخول في عقد قريش وعهدها لمن شاء ، وقد توقع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأن الناس سوف يدخلون عهده وعقده ويقتربون أكثر حتى يدخلوا في الإسلام، وهذا هو المراد حتى قال فيمن ذهب من المسلمين إلى المشركين: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا».

ولذلك لما انصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح وفرح بها قائلاً: «أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا» [الفتح:١]. (البخاري: ٤١٧٢). فلم يكنْ الصلح إلا فتحًا من الله تعالى فتحركت الدعوة إلى توحيد الله في أمان

وظهر دين الله بفضل الله ثم بفهم رسولنا للواقع واستقراء المآل وما وراء الحدث.

فتعلموا يا ساسة، كيف يكون الصلح والتصالح والمعاهدات مع الأعداء.

سادسًا: يحافظ على وحدة الصف:

فلما قال ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «دَعْهُ، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه». [مسلم: ٦٧٤٨].

وقالها أيضًا عمر لما قال المعترض على تقسيم النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا من الذهب، قال هذا المعترض على النبي صلى الله عليه وسلم في التقسيم: اعدل فإنك لا تعدل! فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إن هذا مع أصحاب له أو في أصحاب له، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». [الأدب المفرد: ٧٧٤، صححه الألباني]. ولم يأمر بقتله.

وكذلك، لما قال ابن سلول في الطاهرة عائشة ما قال لم يأمر بقتله ولا أقام عليه الحد حرصًا منه على وحدة الصف ولا يتشدق الناس بأنه يقتل أصحابه، فتعلموا يا ساسة، ولا تضربوا بعض الرعية ببعض لتحافظوا على سلطانكم، وتسلطوا بعض الرعية على بعض ليدوم عليكم ملككم ولكن هيهات هيهات.

سابعًا: يقلل دائرة العداء ويوسع دائرة الولاء:

وهذا بلغة عصرنا ما يسمى بالتحالفات بين الدول ليضمنوا بهذا التحالف تحقيق المصالح بينهم، فقد وثق النبي صلى الله عليه وسلم العلاقات مع أصحابه وأصفيائه، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون، فقد أخذ من اثنين وأعطى اثنين، أخذ عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر، وأعطى عثمان رقية وأم كلثوم، وأعطى عليًا فاطمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ليكسر الحدّة بينه وبين أبي سفيان، وهو آنذاك رئيس المشركين، وتزوج من صفية بنت حيي بن أخطب ليكسر حاجز العداء مع اليهود، وهذا عمل سياسي عظيم؛ حيث يوسّع دائرة الولاء، ويقلل دائرة العداء، وهكذا تكون السياسة الحكيمة حتى في الأمور الخاصة.

ثامنًا: يقود أمته إلى المجد والرفعة في الدنيا:

قال الله تعالى: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا » [النور:٥٥]. وعن ثوبان مرفوعا: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض». [مسلم: ٧٤٤٠].

وهذا المجد وتلك السيادة والملك بالعدل والفتوحات الإسلامية التي تكون رحمة لأهل هذه البلاد، ليعيشوا بعد الفتح في أنعم الأحوال وأطيب المعايش، فتعلموا يا ساسة ، فليس احتلال الشعوب والبلاد هو سبيل الملك والسيادة العلنية في الدنيا، بل هو الظلمات في الدنيا والآخرة، وهو طريق الدمار والخراب؛ لأن عاقبة الظلم وخيمة، والأمثلة كثيرة، منها ظلم الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، كان عاقبته أن تمزق هذا الاتحاد إربًا ولله الحمد والمنة، فسياسة نبينا وفتوحاته وفتوحات أصحابه من بعده رحمة وسلام على الشعوب ورخاء ورغد للفاتح وما فتح.

تاسعًا: قاد أمته إلى دار السلام:

ليس النجاح في السياسة هو النجاح في الحياة الدنيا، بالترف في المعايش وتيسير سبل الحياة ثم بعد ذلك يكون المستقر في دار الجحيم: «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ » [الزمر:٨]، وقوله: «وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ » [محمد:١٢]، وليس النجاح في السياسة هو تجنيب الشعوب حروبًا بينها ودخولها في حروب مع رب العالمين: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ » [البقرة:٢٧٨ - ٢٧٩]. فالنجاح في السياسة هو تطهير الاقتصاد من الربا

حتى تسلم الرعية من حرب الله ورسوله التي لا يخسر فيها إلا الناس.

وهناك من الساسة من كان ناجحًا في إدارة شئون الدولة ولها حضارة وعندها قوة، وهذه الدولة كانت على الكفر وهي مملكة سبأ فيها شورى: «مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ» [النمل:٣٢]، وفيها جيش جرار وقوات جبارة: «نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ» [النمل:٣٣]، ولكن هذه السياسة الناجحة في الظاهر نهايتها النار إذا استمر أهلها على الكفر، قال الله تعالى: « وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ » [النمل:٢٤]، وقال: «وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ» [النمل:٤٣]، ولكن كان النجاح الحقيقي والسياسة الحكيمة لما دخلت الملكة في الدين مع سليمان.

ولنتأمل المملكتين والسياستين: سياسة سليمان الملك النبي المسلم الداعي إلى التوحيد الممكن بالجنود من الإنس والجن والطير، وسياسة بلقيس عابدة الشمس هي وقومها، وينكر عليهم هدهد صغير يرى ضلالهم وكفرهم ويبلغ ذلك إلى سليمان عليه السلام، فسليمان عليه السلام يقود أمته إلى الجنة، ولهم الرفعة في الدنيا: «فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ» [النمل:٣٧]، وبلقيس تقود أمتها إلى الهاوية، وتعرضهم للذل والصغار المذكور في الآية، ولكن لما عرفت الصواب عدلت السياسة وبدأت بنفسها: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» [النمل:٤٤]، وهكذا عرفت كيف تكون السياسة، ولم تفعل مثل فرعون ساس قومه بالكفر وإلى الكفر وإن كانت لهم حضارة لكنه أغرقهم في الدنيا، ويقدمهم إلى النار في الآخرة: «يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ» [هود:٩٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون». [متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان: ١٢٠٨].

وإذا كان ساسة بني إسرائيل أنبياء بأمر الله وتقديره، والأنبياء هم أعظم الخلق وأعظم الساسة فإن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أعظم العظماء والساسة، وهو سيد البشر باتفاق، صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إشهار فروع أنصار السنة

تم بحمد الله تعالى إشهار فروع جديدة لجماعة أنصار السنة المحمدية وفقاً للقانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ م

وهذه الفروع هي

١ - فرع أنصار السنة المحمدية بالبلاشون، مركز بلبيس، بموجب القرار رقم (٢٤٥٩) لسنة ٢٠١١م، بتاريخ ٢٠١١/١٢/١م

٢ - جمعية أنصار السنة المحمدية بميت تمامة، منية النصر، دقهلية، بموجب قرار رقم (٢١١٧) بتاريخ ٢٠١١/١١/١٠م

٣ - جمعية أنصار السنة المحمدية فرع برطس أوسيم جيزة بموجب قرار رقم ٤٢٢٢ بتاريخ ٢٠١١/١٢/٤ م


الآن
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٣٢
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
لعام ١٤٣٢ هـ
الآن أصبحت ٤٠ مجلداً من الموسوعة
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت

منحة الثقافة الاسلامية بمعرض الكتاب بالقاهرة

مجلة اسلامية شهرية جامعة
البيان

باشتراكك بمجلة البيان الاسلامية

تحصل على زاد معرفي وفكري من نخبة علماء الامة ومفكريها

منبر من منابر أهل السنة

تعبر عن منهجهم، وتدعو إلى أصولهم، وتذكر بطريقتهم السليمة من الغلو والانحراف، وهي مع هذا، ليست منبراً لحزب، ولا دعوة إلى طائفية، ولا إلى إقليمية.

مجلة كل مسلم

، مهما كان لونه أو جنسه، وأياً كان موقعه، وهي بهذا لا تدعي أنها صوت المسلمين الوحيد، ولا تزدري الأصوات الأخرى التي تقف معها في ساحة العمل الإسلامي.

مع الهدايا
١٢ نسخة
تصلك لبيتك
سنوياً
٨٥ جنيها

هدايا للمشتركين

تحصل على هدايا من
كتب المجلة الرائعة

موسوعة ٢٥٠ نسخة مجلة

كارت خصومات ٢٠ ٪



للإشتراك 0101537299 mass4distribution@yahoo.com

يمكنك الاشتراك بمعرض الكتاب او الاتصال ليصلك مندوبنا بالهدايا